☐ علو الهمة في الاتباع ومجانبة الابتداع ☐

إذا أردت أن تعرف قدر الرجل ، فانظر أين همته من الاتباع ومجانبة الابتداع ... فلا يُعدّ الرجل رجلًا إلا إذا خالط حبُّ القرآن والسنة والعملُ بهما لحمه ودمه ، وآثرهما على ما سواهما . فقد بَعَث قيّومُ السموات والأرضين رسوله ﷺ بالكتاب المبين ، والنور للأرواح .

هو الفارق بين الهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والشك واليقين . أنزله لنقرأه تدبرًا ، ونتأمله تبصُّرًا ، ونسعد به تذكُّرًا ، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه ، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه ، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله - سبحانه - من أشجاره ، ورياحين الحكم من بين رياضه وأزهاره .

فهو كتابه الدالّ عليه لمن أراد معرفته ، وطريقه الموصلة لسالكها إليه ، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات ، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب ، وبابه الأعظم الذي منه الدخول ، فلا يغلق إذا غُلقت الأبواب . وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء ، والذِّكر لحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء ، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء ، لا تفنى عجائبه ، ولا تقلع سحائبه ، ولا تنقضي آياته ، ولا تختلف دلالاته ، كلما ازدادت البصائر فيه تأمُّلًا وتفكيرًا ، زادها هداية وتبصيرًا . وكلما بَجَّستْ معينه فجّر لها ينابيع الحكمة تفجيرًا . فهو نور البصائر من عماها ، وشفاء الصدور من أدوائها وجَوَاها ، وحياة القلوب ، ولذّة النفوس ، ورياض القلوب ، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، والمنادي بالمساء والصباح : يا أهل الفلاح ، حي على الفلاح . نادى منادي الإيمان على رأس الصراط المستقيم : ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يَغْفر لكم من ذنوبكم ويُجرْكم من عذاب أليم** ﴾ [الأحقاف : ٣١].

فحقيق بالإنسان أن ينفق ساعات عمره - بل أنفاسه - فيما ينال به المطالب العالية ، ويخلص به من الخسران المبين ، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره ، واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه ، وصرف العناية إليه ، والعكوف بالهمة عليه ، فإنه الكفيل بمصالح العباد ، في المعاش والمعاد ، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد ، فالحقيقة والطريقة ، والأذواق والمواجيد الصحيحة ، كلها لا تقتبس إلّا من مشكاته ، ولا تستثمر إلا من شجراته .

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون ﴾ [يونس : ٥٨] .

وقال تعالى : **﴿ أوَ لم يَكْفِهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم إن في ذلك لرحمةً وذِكْرى لقوم يؤمنون ﴾** [العنكبوت : ٥١] .

لله درّ مَن « اتخذ الله وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية مقصده ومنتهى طلبه ، واتخذ رسوله ﷺ - وَحدهُ - دليله وإمامه وقائده وسائقه ، فوحّد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه ، وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدُّب بآدابه ، وللعبد في كل وقت هجرتان : هجرةٌ إلى الله بالطلب والمحبة ، والعبودية والتوكل ، والإنابة والتسليم والتفويض ، والخوف والرجاء والإقبال عليه ، وصدق اللجأ والافتقار في كل نفَسٍ إليه . وهجرةٌ إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ، بحيث تكون موافقةً لشرعه الذي هو تفصيل محابّ الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه ، وكل عملٍ سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد ، قال بعض العارفين : كل عملٍ بلا متابعةٍ فهو عيش النفس »(١) .

---

(١) طريق الهجرتين ص٧ .

فهذا هو الغريب حقًّا « والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء . وأهل العلم في المؤمنين غرباء . وأهل السنة – الذين يميزونها من الأهواء والبدع – فهم غرباء . والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين : هم أشدُّ هؤلاء غربة . ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا ، فلا غربة عليهم . وإنما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ **وإن تُطِعْ أكثر من في الأرض يُضِلّوك عن سبيل الله** ... ﴾ [الأنعام : ١١٦] فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه ، وغربتهم هي الغربة الموحشة ، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم ، كما قيل :

فليس غريبًا مَنْ تَناءَتْ دياره ولكِنَّ مَن تنْأَيْنَ عنه غَرِيبُ

غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق . وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها ، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه : « بدأ غريبًا » وأنه : « سيعود غريبًا كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » .

وهذه الغربة قد تكون في مكانٍ دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين قومٍ دون قوم . ولكن أهل هذه « الغربة » هم أهل الله حقًّا ؛ فإنهم لم يأووا إلى غير الله ، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ﷺ ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به . وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم ، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم ، فيقال لهم : « ألا تنطلقون حيث انطلق الناس ؟ فيقولون : فارقنا الناس ، ونحن أحوج إليهم منا اليوم ، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده » .

فهذه « الغربة » لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنسُ ما يكون إذا استوحش الناس ، وأشدّ ما تكون وحشته إذا استأنسوا ، فوليُّه الله ورسوله والذين آمنوا ، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه .

ومن صفات هؤلاء الغرباء – الذين غبطهم النبي ﷺ –: التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف

عندهم ، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحدٍ غير الله ورسوله ؛ لا شيخ ، ولا طريقة ، ولا مذهب ، ولا طائفة . بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده . وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًا . وأكثر الناس - بل كلهم - لائم لهم .

فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدّونهم أهل شذوذٍ وبدعةٍ ، ومفارقة للسواد الأعظم .

ومعنى قول النبي ﷺ : « هم النزاع من القبائل » ، أن الله سبحانه بعث رسوله ، وأهل الأرض على أديانٍ مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ، ويهود وصابئة وفلاسفة ، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبًا ، وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله ولرسوله : غريبًا في حيّه وقبيلته وأهله وعشيرته ، فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزّاعًا من القبائل ، بل آحادًا منهم ، تغرّبوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلوا في الإسلام ، فكانوا هم الغرباء حقًا ، حتى ظهر الإسلام ، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجًا ، فزالت تلك الغربة عنهم . ثم أخذ في الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريبًا كما بدأ . بل الإسلام الحق - الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه - هو اليوم أشدّ غُربةً منه في أول ظهوره ، وإن كانت أعلامُه ورسومُه الظاهرةُ مشهورةً معروفةً . فالإسلام الحقيقيّ غريب جدًّا ، وأهله غرباء أشدّ الغربة بين الناس .

وكيف لا تكون فرقةٌ واحدة قليلة جدًّا ، غريبةً بين اثنتين وسبعين فرقة ، ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ؟! فإن نفس ما جاء به : يضادّ أهواءهم ولذاتهم ، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التي هي غاياتُ مقاصدهم وإراداتهم ؟ .

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم ، وأطاعوا شحهم ، وأعجب كلٌّ منهم برأيه ؟! كما قال النبي ﷺ : « مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا وهوًى متّبعًا ، ودنيا مُؤْثَرةً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرًا لا بد لك به ، فعليك بخاصّة نفسك . وإياك وعوامّهم ؛ فإن وراءكم أيامًا صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر » .

ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت - إذا تمسك بدينه -: أجر خمسين من الصحابة ، ففي سنن أبي داود والترمذي - من حديث أبي ثعلبة الخشني - قال : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفُسَكم لا يضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم** ﴾ [المائدة : ١٠٥] ، فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوًى متّبعًا ، ودنيا مُؤْثَرةً ، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام ؛ فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله » . قلت : يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال : « أجر خمسين منكم » .

وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس ، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم .

فإذا أراد المؤمن ، الذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه ، وفقهًا في سنة رسوله ، وفهمًا في كتابه ، وأراه ما الناس فيه : من الأهواء والبدع والضلالات ، وتنكُّبهم عن الصراط المستقيم ، الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه ، وإزرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ . فأما إن دعاهم إلى ذلك ، وقَدَح فيما هم عليه : فهنالك تقوم قيامتهم ،

ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، ويجلبون عليه بخيلِ كبيرهم ورَجْلِه .

فهو غريب في دينه ، لفساد أديانهم . غريبٌ في تمسكه بالسنة ؛ لتمسكهم بالبدع . غريب في اعتقاده ؛ لفساد عقائدهم . غريب في صلاته ؛ لسوء صلاتهم . غريب في طريقه ؛ لضلال وفساد طرقهم . غريب في نسبته ؛ لمخالفة نسبهم . غريب في معاشرته لهم ؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم .

وبالجملة : فهو غريب في أمور دنياه وآخرته . لا يجد من العامة مساعدًا ولا مُعينًا . فهو عالمٌ بين جُهّال . صاحب سنة بين أهل بدع . داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاةٍ إلى الأهواء والبدع . آمر بالمعروف ، ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف »[١] .

قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولًا »[٢] .

قال ابن قيم الجوزية : « وهذه سهلة بالدعوى واللسان ، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان. والرضا بنبيه رسولًا يتضمن كمال الانقياد له ، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة ، لا في شيءٍ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه . لا يرضى بحكم غيره ، ولا يرضى إلا بحكمه . فإن عجز

---

(١) مدارج السالكين ١٩٦/٢ - ٢٠٠ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي عن العباس بن عبد المطلب .

عنه ، كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم . وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور .

لا يبقى في قلبه حرج من حكمهٔ ، ويسلم له تسليمًا ، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها ، أو قول مقلده وشيخه وطائفته .

وهٰهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم . فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد ، فإنه **والله عين العزة** ، والصحبة مع الله ورسوله ، وروح الأُنس به ، والرضا به ربًّا ، وبمحمد ﷺ رسولًا ، وبالإسلام دينا . بل الصادق كلما وجد مسَّ الاغتراب ، وذاق حلاوته ، وتنسّم روحه ، قال : اللهم زدني اغترابا ، ووحشة من العالم ، وأُنسًا بك . وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب ، وهذا التفرد ، رأى الوحشة عين الأنس بالناس ، والذل عيْن العزّ بهم ، والجهل عن الوقوف مع آرائهم وزبالة أذهانهم ، والانقطاع عن التقيّد برسومهم وأوضاعهم ، فلم يؤثر بنصيبه من الله أحدًا من الخلق ، ولم يبع حظّه من الله بموافقتهم فيما لا يجدي عليه إلا الحرمان .

وغايته : مودة بينهم في الحياة الدنيا ، فإذا انقطعت الأسباب ، وحقَّت الحقائق ، وبعثر ما في القبور ، وحُصّل ما في الصدور ، وبليت السرائر ، ولم يجد من دون مولاه الحق من قوةٍ ولا ناصر ، تبيّن له حينئذٍ مواقع الربح والخسران ، وما الذي يخفّ أو يرجح به الميزان »[١] .

وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق ، حتى تقوم الساعة »[٢] .

---

(١) مدارج السالكين ١٧٢/٢ - ١٧٣ .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن عمر وصححه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧١٦٤ .

وقال ﷺ : « لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[١] .

وعن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضـرُهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس » . رواه أحمد والبخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي قوامةً على أمر الله ، لا يضرها من خالفها »[٢] .

قال يزيد بن هارون : إن لم يكونوا أصحاب الحديث ، فلا أدري من هم .

وقال ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث .

وقال ابن المديني : هم أصحاب الحديث .

وقال ابن حنبل : « إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث ، فلا أدري من هم » .

وقال البخاري : يعني أصحاب الحديث . وقال : هم أهل العلم .

فأهل الحديث - حشرنا الله معهم - لا يتعصبون لقول شخصٍ معين مهما سما وعلا ، حاشا محمدًا ﷺ ، وهم الذين هدم الله بهم كل بدعةٍ شنيعة ، فهم أمناء الله في خليقته ، وهم الطائفة الظاهرة والفرقة الناجية ، بل والأمة الوسط ، الشهداء على الخلق .

الدعوة إلى الاتباع ... الدعوة إلى الكتاب والسنة : منهجٌ للحياة ومنهجٌ للفكر ، ومنهجٌ للتصور ، تطلق الإنسان من كل قيدٍ إلا ضوابط الفطرة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن المغيرة .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧١٦٨ .

﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

الدعـوة إلى الكتاب والسنة ... الدعوة إلى الاتباع : دعوةٌ تُحيي القلوب والعقول ، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة ، ومن ضغط الوهم والأسطورة ، ومن العبودية لغير الله ، والمذلة للعبدِ أو للشهواتِ سواءٌ .

قال تعالى : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يُطع الله ورسوله ويخشى الله ويَتقْهِ فأولئك هم الفائزون** ﴾ [النور : ٥١ - ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا قد يعلم الله الذين يتسلّلون منكم لِواذًا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم** ﴾. [النور : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾. [الحجرات : ١ - ٢] .

يقول ابن القيم رحمه الله : « فرأس الأدب مع الرسول ﷺ كمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يحمله معارضة خيالٍ باطلٍ يسميه معقولًا ، أو يحمله شبهة أو شكًّا ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم ، والانقياد والإذعان . كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل .

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول . فلا يحاكم إلى غيره ، ولا يرضى بحكم غيره . ولا

يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه ، وذوي مذهبه وطائفته ، ومن يعظمه ، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره ، وإلا فإن طلب السلامة : أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم ، وإلا حرفه عن مواضعه ، وسمى تحريفه تأويلًا وحملًا . فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنبٍ على الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال .

ولقد خاطبت يومًا بعض أكابر هؤلاء ، فقلت له : سألتك بالله ، لو قُدِّرَ أن الرسول ﷺ حَيٌّ بين أظهرنا ، وقد وَاجَهَنا بكلامه وبخطابه ، أكان فرضًا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم ؟ فقال : بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفاتٍ إلى سواه . فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيءٍ نسخ ؟ فوضع إصبعه على فيه ، وبقي باهتًا متحيِّرًا ، وما نطق بكلمة .

هذا أدب الخواص معه ، لا مخالفة أمره ، ورفع الأصوات ، وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم ، وعزل كلامه عن اليقين ، وأن يستفاد منه معرفة الله ، أو يتلقى منه أحكامه ، بل المعول في باب معرفة الله : على العقول المنهوكة المتحيرة المتناقضة ، وفي الأحكام : على تقليد الرجال وآرائها . والقرآن والسنة إنما نقرؤهما تبرُّكًا ، لا أنا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه . ومن طلب ذلك ورامه ، عاديناه وسعينا في قطع دابره واستئصال شأفته : ﴿ **بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا ولهم أعمالٌ من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مُترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تُتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرًا تهجرون أفلم يدَّبَّروا القول أم جاءهم ما لم يأتِ آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له مُنكِرون أم يقولون به جِنّة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتَّبع الحقُّ**

أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خَرْجًا فخَراجُ ربِّك خيرٌ وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيمٍ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾ [المؤمنون : ٦٣ - ٧٤] .

والناصح لنفسه ، العامل على نجاتها يتدبّر هذه الآيات حقّ تدبرها ، ويتأملها حق تأملها ، وينزلها على الواقع فيرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقومٍ كانوا فبانوا « فالحديث لك واسمعي يا جارة » والله المستعان .

ومن الأدب معه : أن لا ترفع الأصوات فوق صوته ، فإنه سببٌ لحبوط الأعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ؟ أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال ؟! ورفع الصوت فوف صوته موجب لحبوطها »[1].

قال تعالى : ﴿ **لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا** ﴾. [المائدة : ٤٨] . قال ابن عباس : سبيلٌ وسنة .

وقال تعالى : ﴿ **ثم جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتَّبعها** ﴾ [الجاثية : ١٨] . قال الحسن : على السنة .

وقال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته** ﴾. [البقرة : ١٢١] قال عطاء : يتبعونه حقّ اتّباعه ، ويعملون به حق عمله .

وقال تعالى : ﴿ **ويُعلِّمهم الكتاب والحكمة** ﴾ [آل عمران : ١٦٤]. قال الحسن : الكتاب : القرآن ، والحكمة : السنة .

وقال تعالى : ﴿ **وإني لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى** ﴾. [طه : ٨٢]. قال سعيد بن جبير : ثم استقام . قال : لزوم السنة والجماعة . وقال شمر بن عطية : ثم اهتدى . قال : للسنة .

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣٨٧ - ٣٨٩ .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودّ وجوه** ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، قال : فأما الذين ابيضت وجوههم : فأهل السنة والجماعة وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم : فأهل البدع والضلالة .

وقال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم** ﴾. [النساء : ٥٩] . قال عطاء : طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة .

وقال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيءٍ فرُدُّوه إلى الله والرسول** ﴾. قال ميمون بن مهران : ما دام حيًّا ، فإذا قُبض فإلى سنته . وقال مجاهد : كتاب الله وسنة نبيه ، ولا تردوا إلى أُولي الأمر شيئًا .

قال تعالى : ﴿ **وإن تُطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله يُدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار** ﴾. [النساء : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا** ﴾. [النساء : ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾. [النساء : ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يُطع الله ورسوله ويخشى الله ويَتَّقْهِ فأولئك هم الفائزون** ﴾. [النور : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ **ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله** ﴾. [التوبة : ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول** ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون** ﴾ [الأنفال : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿**وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم**﴾. [محمد: ٣٣].

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبيٍّ بعثه الله في أمةٍ قبلي ، إلا كان له من أمته حواريُّون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويتقيدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[١] .

وقال ﷺ : « إن أناسًا من أُمتي يأتون بعدي ، يودّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله »[٢].

وقال ﷺ : « أشدّ أُمتي لي حبًّا قومٌ يكونون بعدي ، يودّ أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآني »[٣].

والدعاوى يحتج لها ولا يحتج بها ... وللمحبة علامات حتى لا يدعي الخلي حرقة الشجي .

فأول علامات المحبة : الاتباع والاعتصام بالكتاب والسنة .

قال الحسن : ادَّعى قوم على عهد رسول الله ﷺ محبة الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ **قل إن كنتم تحبُّون الله فاتَّبعوني يحُبْبكمُ الله ويغفر لكم**

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) حسن : أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٠٨).

(٣) صحيح : رواه أحمد في المسند عن أبي ذر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٠٣) .

ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

وثمرة الاتباع محبة الله للمتبع .. وشأن عظيم أن تُحِب ، وأعظم منه أن تُحَبّ .

حواريُّو الرسول من يأخُذُون بسُنّته ويتقيّدون بأمره ، وهم أنصار سنته ، يود أحدُهم لو اشترى رؤيته بأهله وماله وولده ، وهم أعلى الناس همة في اتباع هديه ، وحث الناس على التمسك بسنته ، وذم أهل البدع والتنفير منهم .

قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ فأيَّدْنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين** ﴾ [الصف : ١٤] .

« هذا الموضع الكريم الذي يرفعهم الله إليه ، وهل أرفع من مكانٍ يكون فيه العبد نصيرًا للرب ؟! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم ... كونوا أنصار الله ... فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن يَنْتَدِبُوا لهذا الأمر الدائم ، كما انْتَدَبَ الحواريُّون للأمر الموقوت .

وفي هذا استنهاضُ همةِ المؤمنين بالدين الأخير ، الأُمَنَاء على منهج الله في الأرض ، وورثة العقيدة والرسالة الإلهية ، المختارين لهذه المهمة الكبرى ، استنهاض همتهم لنصرة الله ونصرة دينه . فما أطعمه من مذاق وما أعظمها من مهمة ، وما أعلاها من همة .. أن تَتَّبع وتقود الناس إلى الاتباع .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمانٌ ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر »[١] .

---

(١) صحيح . رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٨٧٩) ، والصحيحة رقم (٩٥٥) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من ورائكم زمان صبرٍ ، للمتمسِّك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم »[١] .

وعن ابن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى للغرباء ، أناس صالحون في أناس سوءٍ كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[٢] .

وقال ﷺ : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، فطوبى للغرباء »[٣] .

وفي رواية جابر : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلتْ منها القلوب ، وذرفتْ منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظةُ مُوَدِّعٍ ، فأوصنا . قال : أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإنْ تأمَّر عليكم عبدٌ ، وإنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بُسنَّتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كلّ بدعةٍ ضلالةٌ »[٤] .

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٣٠) .

(٢) صحيح . رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨١٦) ، والصحيحة رقم (١٦١٩) .

(٣) رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ، والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود ، وابن ماجة عن أنس ، والطبراني في الكبير عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس .

(٤) صحيح . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٠/١ .

وقوله : « عضّوا عليها بالنواجذ » أي اجتهدوا على السُّنّة والزموها ، واحرصوا عليها كما يلزم العاضُّ على الشيء بنواجذه ، خوفًا من ذهابه وتفلُّته .

وعن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ». قالوا : بلى . قال : « إن هذا القرآن طَرَفه بيد الله وطَرَفه بأيديكم ، فتمسَّكُوا به ، فإنكم لن تضلّوا ولن تهلكوا بعده أبدا »[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم شيئيْن ، لن تضلّوا بعدهما ؛ كتاب الله وسُنَّتي ، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض »[٢] .

وعن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب[٣] أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أُخرى ، إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً ، ولا تنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به » . متفق عليه .

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير ، وقال المنذري : إسناده جيد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٠ .
هذه الأحاديث وأكثر منها وردت في كتاب لي تحت الطبع وهو : « عطر الياسمين في اتّباع سيِّد المرسلين » .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك ، وصححه ووافقه الألباني ، وصححه في صحيح الجامع رقم (٢٩٣٤) .

(٣) جمع أجدب ، وهي الأرض الصلبة التي تمسك الماء .

وعن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يُوشك رجلٌ شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه ، وإن ما حرم رسولُ الله ﷺ كما حرَّم الله ، ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهليُّ ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ؛ ولا لُقطَة معاهدٍ ، إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم ، فعليهم أن يقروه[١] ، فإن لم يقروه ، فله أن يُعقبهم بمثل قِراه »[٢] .

وروى الترمذي بسندٍ صحيح ، عن أبي رافعٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أُلْفينّ أحَدَكم مُتّكِئًا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه ، فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه »[٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بما عرفتم من سُنّتي ، وسُنّة الخلفاء الراشدين المهدِيّين ، عضّوا عليها بالنّواجذ ، وعليكم بالطاعة وإنْ عبدًا حَبَشِيًّا ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف ، حيثما قِيدَ انقاد »[٤] .

---

(١) أي يُضيّفوه .

(٢) صحيح : رواه أبو داود في « الأطعمة » وفي السنة ، وروى الدارمي نحوه ، وكذا ابن ماجة إلى قوله : « كما حرَّم الله » . وقال الألباني في التعليق على المشكاة (١/٥٧ - ٥٨) : سنده صحيح .

(٣) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي في « دلائل النبوة » وسنده صحيح .

(٤) صحيح : رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن العرباض ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٦٩) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهَدْي هدي محمد ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ » . رواه مسلم .

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ حين أتاه عمر ، فقال : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال : « أمُتَهَوِّكُون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي » .

ولفظ الدارمي : عن جابر ، أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة ، فقال : يا رسول الله ، هذه نسخة من التوراة ، فسكت ، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير ، فقال أبو بكر : ثكلتك الثواكل ! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا . فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني ، لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي لاتبعني »[1].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمتُ وجهي إليك ، وفوّضتُ أمري إليك ، وألجأتُ ظهري إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك

---

(١) حسن . رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان والدارمي ، وقال الألباني في التعليق على مشكاة المصابيح (٦٣/١) : « وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف ، ولكن الحديث حسن عندي لأن له طرقًا كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما » .

الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت . واجعلهن من آخر كلامك ، فإن مت من ليلتك ، مت وأنت على الفطرة » . قال : فرددتهن لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت قال : « قل : آمنت بنبيك الذي أرسلت »(١) .

لله ما أحلى هذا الحديث في الحثّ على الاتباع ... قد يقول قائل : ما الفرق بين نبيك ورسولك ؟ الفرق بينهما الاتباع .

قال النووي في شرح مسلم (٥/٥٦٣) : « اختار المازري وغيره ، أن سبب الإنكار : أن هذا ذكر ودعاء ، فينبغي فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه ، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ، ولعله أُوحي إليه ﷺ بهذه الكلمات ، فيتعين أداؤها بحروفها ، وهذا القول حسن » .

إن كان يتعين هذا في باب الأذكار ، فما ظنك بالاعتقاد والأحكام ؟! فاقصد البحر وخلِّ القنوات .. إذا أتى نهر الله بطل نهر معقل .. في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل .

ونسرد ونعطر صفحاتنا بذكر سادات المتبعين وذبهم عن السنة ودحضهم للبدعة .

الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه : « لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ » .

هذه والله أعلى الهمم ممن كان من دين الله السمع والبصر .

أخرج البيهقي بسنده : جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتسأله ميراثها . فقال لها أبو بكر : ما لك في كتاب الله شيء ، وما أعلم لك في سنة النبي ﷺ شيئًا ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال له المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس . فقال

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم .

أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال ، فأنفذه لها أبو بكر .

الفاروق عمر رضي الله عنه :

خَرّج ابن المبارك عن عمر بن الخطاب : أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام ، فقال عمر لمولى له - يقال له : يرفأ -: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني . فلما حضر عشاؤه أعلمه ، فأتاه عمر فسلم عليه ، فاستأذن فأذن له فدخل ، فقرب عشاءَه فجاء بثريد لحم ، فأكل عمر معه منها ، ثم قرب شواء فبسط يزيد يده ، وكف عمر ، ثم قال : والله يا يزيد ابن أبي سفيان ، أطعامٌ بعد طعام ؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم .

عن المسور بن مخرمة ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فقرأ فيها حروفًا لم يكن النبي ﷺ أقرأنيها ، فأردت أساوره وأنا في الصلاة ، فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة ؟ فقال : رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت ، والله ما أقرأك هكذا رسول الله ﷺ . فأخذت بيده أقوده ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، إنك أقرأتني سورة الفرقان ، وإني سمعت هذا يقرأ فيها حروفًا لم تكن أقرأتنيها . فقال رسول الله ﷺ : « اقرأْ يا هشام » فقرأ كما كان قرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أُنزلت » ثم قال : « اقرأ يا عمر » فقرأت ، فقال : « هكذا أُنزلت » ثم قال رسول الله ﷺ : « إن القرآن أُنزل على سبعةِ أحرفٍ » .

واستلم عمر الحجر الأسود وقال : إني لأعلم أنك حَجَر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

وعن المسيب رحمه الله قال : قضى عمر رضي الله عنه بقضاءٍ في

الأصابع ، ثم أُخبر بكتابٍ كتبه النبي ﷺ لابن حزمٍ ، فأخذ به وترك أمره الأول .

وقال نافع : كان الناس يأتون الشجرة ، التي بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان ، فيصلون عندها ، فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها ، وأمر بها فقطعت .

وعن المعرور قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها ، قال : فقرأ بنا في الفجر ﴿ **ألم تَرَ كيف فعَل ربّك بأصْحابِ الفيل** ﴾ ، و ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ فلما انصرف ، فرأى الناس مسجدًا فبادروه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجدٌ صلّى فيه النبي ﷺ ، فقال : هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم ، اتخذوا آثارَ أنبيائهم بيعًا ، من عرضت له صلاة فليصل ، ومن لم تعرض له صلاة فليمض .

قال عمر رضي الله عنه على المنبر : « ألا إن أَصحاب الرأْي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم ، فضلوا وأضلوا ، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، ما نضل ما تمسكنا بالأثر » .

وعن عمر قال : اتهموا الرأْي على الدين ، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأي اجتهادًا ، ووالله ما آلو عن الحق ، وذلك يوم أبي جندل ، والكفار بين يدي رسول الله ﷺ ، وأهل مكة ، فقال : « اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم » . فقالوا : إنا قد صدقناك بما تقول ، ولكن تكتب : باسمك اللهم . قال : فرضي رسول الله ﷺ وأبيت عليهم ، حتى قال : « يا عمر ، تراني قد رضيت وتأبى ؟! » قال : فرضيت .

وعن عمر بن ميمون ، عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لما فتحنا المدائن ، أصبت كتابًا فيه كلام معجب . قال : أمن كتاب الله ؟ قال : لا . فدعا بالدرة فجعل يضربه بها ، فجعل يقرأ ﴿ **آلر تلك آيات الكتاب المبين إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًّا**

لعلكم تعقلون ﴾ إلى قوله : ﴿ **وإنْ كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾ [يوسف : ١ - ٣]. ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم ، وتركوا التوراة والإنجيل ، حتى دَرَسَا وذهب ما فيهما من العلم .

وعن أَسْلم قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : فيم الرَمَلان والكشف عن المناكب ، وقد أطال الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ، ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله في عهد رسول الله ﷺ .

وعن السائب بن يزيد أنه قال : أتى رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لقينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن . فقال : اللهم أمكني منه . قال : فبينا عمر ذات يوم جالسًا يغدي الناس إذ جاءه وعليه ثياب وعمامة ، حتى إذا فرغ فقال : يا أمير المؤمنين ﴿ **والذَّاريات ذَرْوًا فالحاملات وِقْرًا** ﴾. فقال عمر رضي الله عنه : أنت هو ؟ فقام إليه ، وحسر عن ذراعيه ، فلم يزل يضربه حتى سقطت عمامته ، فقال : والذي نفس عمر بيده ، لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك ، ألبسوه ثيابه واحملوه على قتبٍ ، ثم أخرجوه ، حتى تقدموا عليه بلاده ، ثم ليقم خطيبًا ، ثم ليقل : إن صبيغًا ابتغى العلم ، فأخطأه ، فلم يزل وضيعًا في عمره حتى هلك[١] .

وأخرج البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر : « يأيها الناس ، إن الرأْي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيبًا ؛ لأن الله تعالى كان يريه ، وإنما هو منا الظن والتكلف » .

وأخرج البخاري عن عائشة قالت : لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٢٣ ، ١٢٤ تحقيق د . زينب إبراهيم ، دار الكتب العلمية .

مجوس هجر .

وأخرج سعيد بن منصور عن عمران بن حصين أنهم كانوا يتذاكرون الحديث ، فقال رجل : دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله . فقال عمر : إنك أحمق ، أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة ؟ أتجد في كتاب الله الصيام مفسَّرًا ؟! إن القرآن أُحْكم ذلك والسُّنة تفسره .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال : « شهدت عليًّا وعثمان بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة ، وأن يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك عليٌّ أهلَّ بهما جميعًا فقال : لبيك بحجة وعمرة معًا ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله ! فقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحدٍ من الناس » .

وأخرج البيهقي بسنده عن علي رضي الله عنه قال : « لو كان الدِّين بالرأي لكان باطن الخُفَّيْن أحق بالمسح من ظاهرهما ، ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما » .

سيد القُرَّاء ، المذرى إذا سما من الشوق والكرب سيد المسلمين أبيّ بن كعب رضي الله عنه :

يقول : « عليكم بالسَّبيل والسنَّة ، فإنه ما على الأرض من عبدٍ على السبيل والسنة ذَكَرَ الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله أبدًا . وما على الأرض من عبدٍ على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعرَّ جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرةٍ قد يبس ورقها ، فهي كذلك ، إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها ، فإن اقتصادًا في سبيل الله وسنةٍ خيرٌ من خلاف سبيل الله وسنة ، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادًا واقتصادًا أن يكون على منهاج

الأنبياء وسنتهم » .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

وفي الصحيح أنه قال : «يا معشر القراء ، اسلكوا الطريق ، فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقًا بعيدًا ، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا ... » **وفي رواية ابن المبارك : « فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا** بعيدًا » .

وعنه رضي الله عنه : « أخوف ما أخاف على الناس اثنتان : أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون » .

وعنه : « أنه أخذ حجرين ، ووضع أحدهما على الآخر ، ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما من النور إلا قليلًا . قال : والذي نفسي بيده ، لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا : تركت السنة » .

وعنه أنه قال : « أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، وليطأن نساؤكم وهن حيض ، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، وحذو النعل بالنعل ، لا تخطئن طريقهم ، ولا تخطىء بكم ، وحتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة ، تقول إحداهما : ما بال الصلوات الخمس ، لقد ضل من كان قبلنا ، إنما قال الله : ﴿ **أقمِ الصلاةَ طرفي النَّهار وزُلَفى من الليل** ﴾ لا تصلون إلا ثلاثًا . وتقول الأخرى : إنما المؤمنون بالله كإيمان الملائكة ، ما فيها كافر ولا منافق . حق على الله أن يحشرهما مع الدجال » .

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

روى عنه مسلم أنه قال : « من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ

على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله عز وجل شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم ﷺ لضللتم » .

فتأمل كيف جعل تركها ضلالة ، وفي رواية : « لو تركتم سنة نبيكم ﷺ لكفرتم » .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : « **اتَّبِعوا** آثارنا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم » .

وقال : « عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه بذهاب أهله ، عليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده ، وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ؛ فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق » .

وعنه أيضًا : « ليسْ عام إلا والذي بعده شرٌّ منه ، لا أقول : عامٌ أمطر من عام ، ولا عام أخصب من عام ، ولا أمير خير من أمير ، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم ، ثم يحدث قوم يقيسون الأمور بآرائهم ، فيهدم الإسلام ويثلم » .

وقال أيضًا : « كيف أنتم إذا أُلبستم فتنة يهرم فيها الكبير ، وينشأ فيها الصغير ، تجري على الناس يحدثونها سنة ، إذا غيرت قيل : هذا منكر » .

وقال أيضًا : « أيها الناس ، لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا ، وعليكم بالعتيق ، خذوا ما تعرفون ، ودعوا ما تنكرون » .

وعنه أيضًا : « القصد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة » .

وعن علو همته في الاتباع وذمِّ الابتداع :

قال عمرو بن زُرَارة : « وقف عليَّ عبد الله - يعني ابن مسعود - وأنا أقصُّ فقال : يا عمرو ، لقد ابتدعت بدعة ضلالة ، أو إنك لأهدى من محمد وأصحابه !! فلقد رأيتهم تفرقوا عني ، حتى رأيت مكاني ما فيه أحد »[1] .

« وعن يسار أبي الحكم أن عبد الله بن مسعود حدث أن أُناسًا بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد ، فأتاهم وقد كوم كلُّ رجلٍ منهم بين يديه كومة حصى ، قال : فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ، ويقول : « لقد أحدثتم بدعةً ظلمًا ، أو قد فضلتم أصحاب رسول الله ﷺ علمًا ! » .

ومرّ عبدُ الله برجل يقصُّ في المسجد على أصحابه وهو يقول : سبحوا عَشْرًا وهللوا عَشْرًا . فقال عبد الله : « إنكم لأهدى من أصحاب محمدٍ ﷺ أو أضل ، بل هذه ، بل هذه . يعني أضل » .

وعن عبدة بن أبي لبابة أن رجلًا كان يجمع الناس فيقول : رحم الله من قال كذا وكذا مرةً : سبحان الله ، قال : فيقول القوم ، فيقول : رحم الله من قال كذا وكذا مرةً : الحمد لله ، قال : فيقول القوم ، قال : فمر بهم عبد الله بن مسعود فقال : لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم ، أو إنكم لتمسكون بذنب ضلالة .

ومر ابن مسعود بامرأةٍ معها تسبيح تسبح به ، فقطعه وألقاه ، ثم مر برجل يسبح بحصىً فضربه برجله ، ثم قال : لقد سبقتم ، ركبتم بدعة ظلمًا ، أو لقد غلبتم أصحاب محمدٍ ﷺ علمًا .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في الكبير بإسنادين ، أحدهما صحيح كما قال المنذري في الترغيب والترهيب ، وأخرجه الدارمي بنحوه أتم منه ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٧ .

وجاء المسيب بن نجيد إلى عبد الله فقال : إني تركت في المسجد رجالًا يقولون : سبحوا ثلثمائة وستين ، فقال : قم يا علقمة واشغل عني أبصار القوم ، فجاء فقام عليهم فسمعهم يقولون ، فقال : إنكم لتمسكون بأذناب ضلال ، أو إنكم لأهدى من أصحاب محمد ﷺ ، أو نحو هذا »(١) .

نعم يا صاحب سواك رسول الله ﷺ ... هذه آنيةُ محمد ﷺ لم تجفّ ، وثيابه لم تَبْلُ .

عبد الله بن عباس ، ترجمان القرآن رضي الله عنه :

ولقد كان لترجمان القرآن القدح المعلّى في الاتباع .

« فعن عروة بن الزبير أنه قال لابن عباس : أضللت الناس . قال : وما ذاك يا عرية ؟ قال : تأمر بالعمرة في هؤلاء العشر ، وليست فيهن عمرة . فقال : أولا تسأل أمك عن ذلك ، فقال عروة : فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك . فقال ابن عباس : هذا الذي أهلككم ، والله ما أرى إلا سيعذبكم ، إني أحدثكم عن النبي ﷺ وتجيبون بأبي بكر وعمر »(٢) .

وأخرج الدارمي عن ابن عباس قال : أما تخافون أن تعذبوا ويخسف بكم ؛ أن تقولوا:قال رسول الله ﷺ وقال فلان !.

وعنه أيضًا : أيها الناس ، توشك أن تنزل عليكم حِجَارةٌ من السماء ، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون:قال أبو بكر وقال عمر !! .

لله درك من « طين عجن بماء الوحي ، وغرس بماء الرسالة ، فهل

---

(١) « البدع والنهي عنها » لابن وضّاح القرطبي ص١٧ - ٢٠ ، طبع دار الصفا .

(٢) رواه أحمد والخطيب في الفقيه والمتفقه بسند صحيح نقله في كتاب « العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون » علي حسن علي عبد الحميد ، طبع مكتبة الغرباء الأثرية .

يفوح منك إلا مسك الهدىٰ وعنبر التقى » ... « أقول لكم : قال رسول الله ، وتقولون : قال أبو بكر وقال عمر ... لله درك ... عالي الهمة ... اللقن المعلم ، والفطن المفهم ، فخر الفخار ، وبدر الأحبار ، وقطب الأفلاك ، وعنصر الأملاك المنافس في نفائس الأخلاق ، البحر الزخار ، والعين الحزار ، مفسر التنزيل ، ومبين التأويل ، المفرس الحساس ، والوضيء اللباس ، مكرم الجلاس ، ومطعم الأناس عبد الله بن عباس » .

قال رضي الله عنه : « عليكم بالاستفاضة والأثر ، وإياكم والبدع » .

وقال : « ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعةً وأماتوا سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن »[1] .

قال ابن عباس : « إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته أم في سيئاته ؟ » .

حكيم الأمَّة أبو الدَّرْدَاء رضي الله عنه :

أخرج البيهقي عن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهبٍ أو ورقٍ بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ نهى عن مثل هذا ، إلا مثلًا بمثل ، فقال له معاوية : ما أرى بهذا بأسًا . فقال أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ، أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه ؟! لا أُساكنك بأرضٍ أنت بها .

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :

أخرج الشافعي عن أبي سعيد الخدري أنه لقي رجلًا فأخبره عن

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/٨١ .

رسول الله ﷺ شيئًا فخالفه ، فقال أبو سعيد : والله لا أواني وإياك سقف بيت أبدًا .

عبد الله بنَ مُغَفَّل رضي الله عنه :

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن بُريدة أن عبد الله بن مغفل رأى رجلًا يخذف فنهاه ، وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، وقال : « إنه لا يرد الصيد ، ولا ينكأ العدو ، ولكنه يكسر السن ، ويفقأ العين » فرآه بعد ذلك يخذف ، فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف ، والله لا أكلمك أبدًا .

عِمرانُ بن حُصين رضي الله عنه :

وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحياءُ خير كله » فقال بشير بن كعب : إنا نجد في بعض الكتاب : أن منه سكينة ووقارًا ، ومنه ضعفًا . فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه . وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه . وفي رواية : « وتحدثني عن صحفك » .

ولفظ ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق : قال بشير بن كعب : إن فيه ضعفًا ، وإن منه لعجزًا . فقال عمران : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتجيء بالمعاريض ، لا أحدثك بحديثٍ ما عرفتك . فقالوا : يا أبا نُجيد : إنه طيب الهوىٰ ... وإنه ... وإنه ، فلم يزالوا به حتى سكن .

أم المؤمنين ، الصِّدِّيقة بنت الصِّديق ، عائشة رضي الله عنها :

عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها : « ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت عائشة : أحرورية أنت ؟ قالت : لست بحرورية ، ولكني أسأل . فقالت : كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

هذا هو الاتباع « نؤمر ، ولا نؤمر » فرضي الله عن أمِّ المؤمنين ، حبيبة رسول الله ﷺ .

الإمام القـدوة شيخ الإسلام المُتعبِّد المتهجِّد ، المُتتبِّع للأثر المُتشـدِّد أبو عبد الرحمن القرشيّ العدويّ عبد الله بن عمر :

ما ناقةٌ أضلت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثره من ابن عمر لرسول الله ﷺ .

قال نافع مولى ابن عمر : لو نظرت إلى ابن عمر رضي الله عنه إذا اتبع أثر النبي ﷺ ، لقلت هذا مجنون » .

« وعن عاصم الأحول عمن حدثه قال : كان ابن عمر إذا رآه أحدٌ ظن أن به شيئًا من تتبعه آثار النبي ﷺ » .

« وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول : لعل خُفًّا يقع على خُفٍّ ؛ يعني خُفّ راحلة النبي ﷺ »[١] .

بأبي وأمي أنت أبا عبد الرحمن .. هذه والله الرجولة .. وهذا والله الاتباع ...

« لعل خفًّا يقع على خفٍّ ».. رحمك الله يا ابن الفاروق .

وهل يُنبِت الخطِّيَّ إلا وَشِيجُهُ ويُزرَعُ إلا في منابته النخلُ

وعن زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلي محلولةً أزراره ، فسألته عن ذلك . فقال : رأيت رسول الله ﷺ يفعله[٢].

---

(١) الحلية ١/٣١٠ ، السير ٣/٢٣٧ .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٢ - ٢٣ .

وعن مجاهد قال : « كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر ، فمر بمكان ، فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ؛ ففعلت »[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك »[(٢)] .

وعن أنس بن سيرين قال : « كنت مع ابن عمر رحمه الله بعرفات ، فلما كان حين راح ، رحت معه ، حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحابٌ لي ، حتى أفاض الإمام ، فأفضنا معه ، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين ، فأناخ وأنخنا ، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي ، فقال غلامه الذي يمسك راحلته : إنه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضي حاجته »[(٣)].

روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنّكم » .

قال سالم بن عبد الله : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن . قال سالم : فأقبل عليه عبد الله ؛ فسبه سَبًّا سيِّئًا ، ما سمعته سبه مثله ، وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول : والله لنمنعهن ؟!

---

(١) رواه أحمد والبزار ، وقال المنذري : إسناده جيد . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٣/١ .

(٢) رواه البزار ، وقال المنذري : إسناده لا بأس به .

(٣) رواه أحمد ، وقال المنذري : رواته محتج بهم في الصحيح . وصححه الألباني في الترغيب والترهيب ٢٣/١ .

سهل بن حُنيف رضي الله عنه :

عن أبي وائل قال : قال سهل بن حنيف : « يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتني يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلّا أسْهَلْنَ بنا إلى أمرٍ نعرفه غير هذا الأمر » . رواه البخاري .

محمد بن سيرين :

وحدث ابن سيرين رجلًا بحديثٍ عن النبي ﷺ ، فقال له رجل : قال فلان كذا وكذا . فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبي ﷺ ، وتقول : قال فلان وفلان ، والله لا أكلمك أبدًا .

نجِيبُ بَني أميّةَ أمير المؤمنين مجدّد الدين عمرُ بنُ عبد العزيز :

قال فيه عروة بن أذينة يرثيه :

وَأحيَيْتَ في الإسلام عِلمًا وسنّةً ولم تبتدعْ حُكمًا من الحُكمْ أسْحَمَا

فَفِي كلِّ يَوْمٍ كنتَ تهدمُ بدعةً وتبني لنا من سُنَّةٍ ما تَهدَّما[1]

ومن كلامه الذي عني به ، ويحفظه العلماء ، وكان يعجب مالكًا جدًّا . قال : « سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا ، الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، من عمل بها مهتدٍ ، ومن انتصر بها منصورٌ ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا »[2] .

ولما بايعه الناس صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها

---

(١) في الأصل : « أضجعا » بدل « أسحما » وهو غلط ظاهر ، وأسحما : أي حالك السَّواد ، وهذا أقربُ لوصفهم البدعة بالسوداء ، والسنة بالبيضاء الغراء .

(٢) الاعتصام ١/٨٧ .

الناس ، إنه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنةٌ ، ولا بعد أمتكم أمةٌ ، ألا وإن الحلال - ما أحل الله في كتابه وعلى لسان نبيه - حلالٌ إلى يوم القيامة ، ألا وإن الحرام - ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه - حرام إلى يوم القيامة ، ألا وإني لست بمبتدع ، ولكني متبع ، ألا وأني لست بقاضٍ ولكني منفذٌ ، ألا وإني لست بخازنٍ ولكني أضع حيث أمرت ، ألا وأني لست بخيركم ولكني أثقلكم حملًا ، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ثم نزل .

وعند اللالكائي (٥٦/١) عن أبي المليح قال : « كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السنة وإماتة البدعة » .

وكتب له عدي بن أرطاة يستشيره في بعض القدرية فكتب إليه : « أما بعد ، فإني أُوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم عن علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذٍ قد كفوا ، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل كانوا فيه أحرى ، فلئن قلتم : أمرٌ حدث بعدهم . ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم ، ورغب بنفسه عنهم . إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا منه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مُقصِّرٌ ، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فقلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدًى مستقيم »[١].

وقال عمر بن عبد العزيز : لا رأي لأحدٍ في كتاب الله ولا في سنةٍ

(١) الاعتصام ٤٩/١ - ٥٠ .

سنها رسول الله ﷺ ، وإنما رأي الأمة فيما لم ينزل فيه كتابٌ ، ولم تمض به سنةٌ عن رسول الله ﷺ .

وأَمَّ عمر بن عبد العزيز أنس بن مالك رضي الله عنه ، فقال أنس : « ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من إمامكم هذا »[1]؛ يعني عمر بن عبد العزيز . قال زيد بن أسلم : « فكان عمر يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود »[1] .

وكان عمر رحمه الله يلبس برد رسول الله ﷺ ، ويأخذ قضيبه في يده يوم العيد .

وأوصى رحمه الله عند الموت ، فدعا بشَعْرٍ من شعر النبي ﷺ ، وأظفارٍ من أظفاره ، فقال : اجعلوه في كفني .

ردّتْ صنائعه عليه حياتَه ... فكأنه من نشْرِها منشورُ

قال رحمه الله لعمته : « يا عمة ، إن رسول الله ﷺ قبض ، وترك الناس على نهر مورود ، فولي ذلك النهر بعده رجلٌ فلم يستخص منه بشيء ، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك رجلٌ آخر فكري منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابسًا ليس فيه قطرة ، وأيم الله ، لئن أبقاني الله لأسكرن تلك السواقي حتى أُجريه مجراه الأول »[2] .

أما علو همته في نقض البدع وذم أهلها : فقد قال رحمه الله : « من جعل دينه عرضا للخصومات أكثر التنقل » .

وقال عمر بن عبد العزيز في أصحاب القدر : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا نفوا من ديار المسلمين .

---

(١) سنده حسن : أخرجه النسائي في الافتتاح : باب تخفيف القيام والقراءة .

(٢) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٣٧ . تحقيق : نعيم زرزور – دار الكتب العلمية .

وقال رحمه الله : « ينبغي لأهل القدر أن يتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر ، فإن كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم استلالًا »[١] .

وكان عمر بن عبد العزيز يكتب في كتبه : إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيدة[٢] .

وأفحم عمر بن عبد العزيز غيلان الدمشقي وألقمه حجرًا ، وقال لغيلان : « إنك إن أقررت بالعلم خصمت ، وإن جحدته كفرت ، وإنك إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر » . فلما ولى غيلان قال عمر : « اللهم إن كان كاذبًا بما قال - في ادعائه التوبة - فأذقه حر السلاح » .

وفي رواية:« اللهم إن كان صادقًا فتب عليه ، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين » .

وفي رواية : فسلط عليه من يمثل به .

وأظهر غيلان مقالته مرة أخرى بعد موت عمر ، فلما وَلِيَ هشام أرسل إليه ، فقال له : أليس قد كنت عاهدت الله لعمر لا تتكلم في شيء من هذا أبدًا ؟ قال : أقلني فوالله لا أعود . قال : لا أقالني الله إن أقلتك . اذهبا فاقطعا يديه ورجليه ، واضربا عنقه واصلباه .

وكتب رجاء بن حيوة إلى هشام أمير المؤمنين : « بلغني أنه دخلك من قبل غيلان وصالحٍ ، فأقر بالله ، لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم » .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة : « أصاب والله فيه القضية والسنة ، ولأكتبن إليه فلأحسن له »[٣] .

---

(١) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٨٣ - ٨٤ .
(٢) الاعتصام ١/٨٦ .
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٤/٧١٤ - ٧١٧ ، الآجُرّي في الشريعة ص٢٢٩ وابن بطة في الإبانة ٢/٣٣٤ .

سيِّد أهل زمانه علمًا وعملًا : الحسنُ البَصْريُّ :

قال فيه عطاء : ذاك إمام ضخم يُقتدى به .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : « أما بعد ؛ فإنك لن تزال تعني إلي رجلًا من المسلمين ، في الحر والصيف يسألني عن السنة ، كأنك إنما تعظمني بذلك ، وأيم الله لحسبك بالحسن . فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين . فرحم الله الحسن ، فإنه من الإسلام بمنزلٍ ومكان . ولا تقرئنه كتابي هذا »[1] .

وكان الحسن رحمه الله يقول : « يا أهل السنة تفرقوا ، فإنكم أقلُّ الناس » .

وقال رحمه الله : « من وقر صاحب بدعةٍ فقد سعى في هدم الإسلام » .

وقال رحمه الله : « لا تجلس إلى صاحب بدعةٍ ، فإنه يمرض قلبك ويفسد عليك دينك »[2].

الإمام الجبل سليمان بنُ طَرْخان التَّيميُّ :

ويكفيك في علو منزلته في الاتباع ، وحرصه على نجاة الناس وتخليصهم من أهل الابتداع ، ما قال سفيان الثوري الإمام :

« كانت الخشبية – أي الشيعة – قد أفسدوني حتى استنقذني الله تعالى بأربعةٍ لم أر مثلهم : أيوب ويونس وابن عون وسليمان التيمي ، الذي يرون أنه لا يحسن يعصي الله » .

---

(١) مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٢١ .

(٢) الحسن البصري لابن الجوزي ص٤١ هدية مجلة الأزهر لعدد المحرم سنة ١٤٠٨هـ .

وقال سعيد بن عامر : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاءً شديدًا ، فقيل له : ما يبكيك ، أتجزع من الموت ؟ قال : لا ، ولكن مررت على قدري فسلمت عليه ، فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه .

وعن مهدي بن سليمان قال : أتيت سليمان ، فوجدت عنده حماد ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين ، فكان لا يحدث أحدًا حتى يمتحنه . فيقول له : الزنا بقدر ؟ فإن قال : نعم ! استحلفه ؛ إن هذا دينك الذي تدين الله به ؟ فإن حلف أن هذا دينه ، حدثه خمسة أحاديث ، وإن لم يحلف لم يحدثه[1] .

وقال معاذ بن معاذٍ : « كان سليمان إذا أتيناه لا يزيد كل واحد منا على خمسة أحاديث ، وكان معنا رجل فجعل يكرر عليه . فقال : نشدتك بالله ، أجهمي أنت ؟ فقال : ما أفطنك ، من أين عرفتني ؟! »[2] .

شيخُ الإسلام ، حُجَّةُ الأُمَّة ، إمامُ دار الهجرة ، المقدَّمُ من علماء المدينة على الإطلاق ، والذي تُضرب إليه آباطُ الإبل من الآفاق : مالك بن أنس :

تكفيه في علو همته في الاتباع أن قال فيه تلميذ ناصر السنة الشافعي : إذا جاء الأثر **فمالكٌ** النجم .

« وقال له بقية : ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنة ماضيةٍ منك يا مالك »[3] .

قال الذهبي في السير ٩٣/٨ : « هذا الإمام الذي هو النجم الهادي

---

(١) حلية الأولياء ٢٨/٣ ، ٣٢ .
(٢) الحلية ٣٣/٣ .
(٣) السير ٩٤/٨ .

قد أنصف ، وقال قولًا فصلًا ، حيث يقول : كل أحد يُؤخذ من قوله ويترك ، إلا صاحب هذا القبر - أو هذه الروضة - ﷺ » .

قال مالك رحمه الله : لا تعارضوا السنة وسلموا لها .

انظر إلى علو همته في الاتباع :

« قال إسحاق بن عيسى : قال مالك : أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل ، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله »(١) .

وقال رحمه الله : « سن رسول الله ﷺ ، وولاة الأمر بعده سننًا ، الأخذ بها اتباعٌ لكتاب الله ، واستكمالٌ لطاعة الله ، وقوةٌ على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في شيء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتدٍ ، ومن استنصر بها فهو منصورٌ ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا »(٢) .

وأخرج البيهقي عن ابن المبارك ، قال : كنت عند مالك وهو يحدِّث ، فجاءت عقرب فلدغته ست عشرةَ مرةً ، ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ ، فلمّا فرغ من المجلس وتفرق الناس ، قلت له : لقد رأيت منك عجبًا ؟ قال : إنما صبرت إجلالًا لحديث رسول الله ﷺ .

وكان رحمه الله إذا أراد أن يحدِّث توضأ ، وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته ، وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة وحدث ، فقيل له في ذلك ، فقال : أُحبُّ أن أُعظِّم حديث رسول الله ﷺ .

وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل ، ويقول : « أُحبُّ أن أتفهم ما أُحدِّث به عن رسول الله ﷺ » .

---

(١) الحلية ٦/٣٢٤ ، والسير ٨/٩٩ .

(٢) السير ٨/٩٨ ، والحلية ٦/٣٢٤ .

وما ظنك باتباع رجلٍ وعلو همته فيه ، كان لا يركب دابةً بالمدينة ، ويقول : « أوقر أرضًا دفن فيها رسول الله ﷺ » .. فكيف هو في اتباعه ؟! .

يقول النسائي : أمناء الله على علم رسول الله ﷺ ثلاثة : شعبة ، ومالك ، ويحيى القطان .

كان رحمه الله كثيرًا ما ينشد :

وخيْرُ أمورِ الدِّين ما كان سُنَّةً   وشرُّ الأُمورِ المُحْدَثَاتُ البدائِعُ[1]

وقال عبد الرحمن بن مهدي : قد سئل مالك بن أنس عن السنة ، قال : ما لا اسم له غير السنة ، وتلا ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ .

وأما ذمه للبدع وأهلها ، فهو الإمام .

« قال ابن وهب : سمعت مالكًا يقول : ما آية في كتاب الله أشدُّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية ﴿ **يوم تبيضُّ وجوه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **بما كنتم تكفرون** ﴾ قال مالك : فأي كلام أبين من هذا ؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء . ورواه ابن القاسم وزاد : قال لي مالكٌ : إنما هذه الآية لأهل القبلة »[2].

« قال الشافعي : كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء ، قال : أما إني على بينة من ديني ، وأما أنت ، فشاكٌّ ، اذهبْ إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه .

وقال يحيى بن خلف الطرسوسي - وكان من ثقات المسلمين -: كنت عند مالك ، فدخل عليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال مالك : زنديقٌ ، اقتلوه . فقال : يا أبا عبد الله ،

---

(١) الاعتصام ١/٨٥ .

(٢) الاعتصام ١/٥٦ .

إنما أحكي كلامًا سمعته . قال : إنما سمعته منك ، وعظم هذا القول »[١] .

وقال مالك : القدرية لا تناكحوهم ، ولا تصلوا خلفهم[٢] .

« قال معن : انصرف مالكٌ يومًا ، فلحقه رجل يقال له : أبو الجويرية ، متَّهمٌ بالإرجاء ، فقال : اسمع مني شيئًا أُعلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي . قال : احـذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أُريد إلا الحق ، فإن كان صوابًا . فقل به ، أو فتكلم . قال : فإن غلبتني ؟ قال : اتبعتني . قال : فإن غلبتك ؟ قال : اتبعتك . قال : فإن جاء رجل فكلمنا ، فغلبنا ؟ قال : اتبعناه . فقال مالك : يا هذا ، إن الله بعث محمدًا ﷺ بدين واحد ، وأراك تتنقل »[٣] .

وقال رحمه الله : الجدال في الدين ينشئُ المراء ، ويذهب بنور العلم من القلب ، ويُقسِّي ويورث الضغن .

قال القاضي عياض : « قال أبو طالب المكي : كان مالكٌ رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلمين ، وأشد نقضًا للعراقيين . ثم قال القاضي عياض : قال سفيان بن عيينة : سأل رجلٌ مالكًا ، فقال : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ كيف استوى ؟ فسكت مالكٌ حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : الاستواء منه معلومٌ ، والكيف منه غير معقولٍ ، والسؤال عن هذا بدعةٌ ، والإيمان به واجبٌ ، وإني لأظنك ضالا . أخرجوه . فناداه الرجل : يا أبا عبد الله ، والله لقد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق ، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له »[٤] .

---

(١) الحلية ٣٢٤/٦ - ٣٢٥ ، والسير ٩٩/٨ .

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ١٧٦/١ ، والسير ١٠٢/٨ ، ١٠٣ .

(٣) ترتيب المدارك ١٧٠/١ ، والسير ١٠٦/٨ .

(٤) السير ١٠٦/٨ - ١٠٧ ، وترتيب المدارك ١٧٠/١ - ١٧١ .

جاء رجل إلى مالكٍ فسأله عن مسألةٍ ، فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال الرجل : أرأيت ؟ فقال مالكٌ : ﴿ **فلْيحذرِ الذين يخالفون عن أمره أنْ تصيبَهم فتنةٌ أوْ يُصيبهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ .

الإمامُ الرَّبَّانيُّ : ابْنُ أبي ذِئبٍ :

قال ابن سماك بن الفضل الشهابي : « حدثني ابن أبي ذئبٍ بحديثٍ عن رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا أبا الحارث أتأخذ بهذا ؟ فضرب صدري وصاح علي صياحًا كثيرًا ، ونال مني ، وقال : أحدّثُكَ عن رسول الله ﷺ وتقول : تأخذ به ؟! نعم آخذ به ، وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه ، إن الله تبارك وتعالى اختار محمدًا ﷺ من الناس ، فهداهم به وعلى يديه ، واختار لهم ما اختار له على لسانه ؛ فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين ، لا مخرج لمسلم من ذلك . قال : وما سكت حتى تمنيت أن يسكت »[1] .

إمام أهل الشام الرّبّاني عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي :

قال ابن مهدي : ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي .

وذكر أبو إسحاق الفزاري الأوزاعي فقال : إن ذاك الرجل كان شأنه عجبًا ؛ كان يسأل عن الشيء الذي عندنا فيه الأثر ، فكان والله يرد على الجواب كما هو عندنا في الأثر ، لا يقدم منه ولا يؤخر منه مقدمًا . وقال : كان يسأل عن الشيء الذي عندنا فيه الأثر ، فيقول للسائل : ما عندي فيه شيء ، فيبتلى بلجاجته حتى يرد عليه الجواب ، فلا يعدو الأثر الذي عندنا[2] .

---

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة إسماعيل الأصبهاني ١/٢٤٤ - ٢٤٥ تحقيق محمد بن ربيع بن هادي - دار الراية .

(٢) الجرح والتعديل ١/١٨٤ .

الله أكبر .. ينطق بالأثر ولا يعدوه ، وكأن دمه ولحمه سيط به ، أي اتباع وأي همةٍ عاليةٍ كانت عند الأوزاعي « الذي أجاب في سبعين ألف مسألة بالأثر » .

قال موسى بن يسار - وكان صحب مكحولًا أربع عشرة سنة -: « ما رأيت أحدًا أبصر ولا أنفى للغل عن الإسلام أو السنة من الأوزاعي ».

قال الأوزاعي لابنه محمد : إني أُريد أن أُحدثك حديثًا أسرك به ، ولا أفعل حتى تعطيني موثقًا أنك لا تحدث به ما كنت حيًّا ، قال : أفعل يا أبه . قال : إني رأيت كأني وقف بي على بابٍ من أبواب الجنة ، وإذا أحد مصراعي الباب قد زال عن موضعه ، وإذا برسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - يعالجون رده فردوه ، ثم تركوه فزال ، ثم أعادوا ، ثم ثبت في موضعه فزال ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن ألا تمسك معنا ؟ ». قال : فأمسكت معهم فثبت[1] . .

قال عبد الرحمن بن مهدي : إذا رأيت الشامي يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري ، فهو صاحب سنة[2].

« قال إسحاق بن راهويه : إذا اجتمع الثوري والأوزاعي ومالكٌ على أمرٍ ، فهو سُنَّةٌ » .

أي فهو حقٌّ غالبًا ؛ وذلك لمعرفتهم الدقيقة بالسنة .

« قال مالك : الأوزاعي إمام يقتدى به .

قال ابن عيينة : كان الأوزاعي والثوري بمنى ، فقال الأوزاعي للثوري : لم لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه ؟ فقال : حدثنا يزيد بن أبي زياد .... فقال الأوزاعي : روى لك الزهري عن سالم ، عن أبيه

---

(١) الجرح والتعديل ١/١٨٤ ، ٢٠٩ .

(٢) الجرح والتعديل ١/٢١٧ .

عن النبي ﷺ ، وتعارضني بيزيد رجل ضعيف وحديثه مخالف للسنة . فاحمر وجه سفيان ، فقال الأوزاعي : كأنك كرهت ما قلت ؟ قال : نعم . فقال : قم بنا إلى المقام نلتعن أينا على الحق . قال : فتبسم سفيان لمَّا رآه قد احتد »[١] .

سبحان الله ... بمثل الأوزاعي حفظ الله الأرض ... يحتد من أجل السنة على جبل السنة والاتباع : الثوري .

قال الأوزاعي : عليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم .

وقال : العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ ، وما لم يجيء عنهم فليس بعلم[٢] .

وقال رحمه الله : ما ابتدع رجل بدعة ، إلا سلب الورع[٣] .

قال الوليد بن مسلم : قلت لسعيد بن عبد العزيز : من أدركت من التابعين كان يبكر لصلاة الجمعة ؟ قال : ما رأيت أبا عمرو ؟ قلت : بلى . قال : فإنه قد كفا من قبله ، فاقتد به ، فلنعم المقتدىٰ .

قال عبد الرحمن بن مهدي : إنما الناس في زمانهم أربعة : حماد بن زيد بالبصرة ، والثوري بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام .

الإمام الرَّشيد ، الآخذ بالأصل الوَكيد ، المتمسك بالمنهج الحميد ، أبو إسماعيل حماد بن زيد :

قال ابن مهدي : لم أر أحدًا قط أعلم بالسنة ، ولا بالحديث الذي يدخل في السنة ، من حماد بن زيد .

---

(١) السير ٧/١١٢ - ١١٣ .
(٢) السير ٧/١٢٠ .
(٣) السير ٧/١٢٥ .

قال ابن المبارك :

أيُّها الطالبُ عِلمًا ايت حماد بن زيدِ
تقتبس حكمًا وعلمًا ثُمَّ قيِّده بقيدِ

وقال عبد الرحمن بن مهدي : إذا رأيت بصريًا يحب حماد بن زيد فهو صاحب سنة[1] .

عزٌّ كبير ، ومقام رفيع لأبي إسماعيل أن يصير محنة : يميز به السني من البدعي ، وهذا يدل على علو همته في الاتباع .

بعث حماد بن زيد إلى جرير : بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة ، وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك ، اثبت على ذلك ، ثبتك الله .

قال فطر بن حماد بن واقد : سألت حماد بن زيد ، فقلت : يا أبا إسماعيل ، إمامٌ لنا يقول : القرآن مخلوق ، أصلي خلفه ؟ قال : لا ، ولا كرامة .

وكان يقول : « لا يزال الرجل منكم داحضًا في بوله ، يذكر أهل البدع في مجلس عشيرته حتى يسقط من أعينهم »[2] .

وكان يقول : « لئن قلت : إن عليًّا أفضل من عثمان لقد قلت : إن أصحاب رسول الله ﷺ قد خانوا » .

فرحم الله حماد بن زيد ، سيد المسلمين بالبصرة في زمانه .

الإمام الرَّبَّاني سفيان بن سعيد الثَّوري :

أبو عبد الله ، أمير المؤمنين في الحديث ، وسيد العلماء العاملين في زمانه .

قال عبد الرحمن بن مهدي : الناس على وجوهٍ ، فمنهم من هو إمامٌ

---

(١) الجرح والتعديل ١/١٧٩ - ١٨٣ .
(٢) الحلية ٦/٢٥٨ .

في السنة إمام في الحديث ، ومنهم من هو إمامٌ في السنة وليس بإمام في الحديث ، ومنهم من هو إمام في الحديث ليس بإمام في السنة ، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري[(١)] .

قال المثنى بن الصباح : سفيان عالم الأُمَّة وعابدها .

وقال بشر الحافي : كان الثوري عندنا إمام الناس . وعنه قال : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما .

وانظر إلى جبل الاتباع سيدنا سفيان ، يقول رحمه الله : « ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قط إلا عملت به ، ولو مرة »[(٢)] .

وقال الأوزاعي : لو قيل لي : اختر لهذه الأمة رجلًا ، يقوم فيها بكتاب الله وسنة نبيه ، لاخترت لهم سفيان الثوري .

وقال ابن إدريس : ما رأيت بالكوفة رجلًا أتبع للسنة ، ولا أود أني في مسلاخه[(٣)] من سفيان الثوري .

قال سفيان رحمه الله : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعةٍ وهو يعلم ، خرج من عصمة الله ووكل إلى نفسه . وقال : من سمع ببدعةٍ فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقها في قلوبهم .

قال الذهبي في السير (٢٦١/٧) : « قلت : أكثر أئمة السلف على هذا التحذير ؛ يرون أن القلوب ضعيفة ، والشبه خطافة » .

قال الثوري رحمه الله : « استوصوا بأهل السنة خيرًا ؛ فإنهم غرباء » .

قال مؤمل بن إسماعيل : لم يُصَلِّ سفيان على ابن أبي رواد للإرجاء .

عن سفيان قال : « كان رجلٌ له حظ من العقل قال : سبقنا الناس ،

---

(١) الجرح والتعديل ١١٨/١ .

(٢) السير ٢٤٢/٧ .

(٣) أي هَدْيه وسَمْته .

ومضوا أمامنا ، وبقينا على حمر دبرة ، فقال سفيان للرجل : لو كنت على الطريق فشأنك صلح »[١] .

قال رجل لسفيان : رجل يكذب بالقدر ، أأُصلّي وراءه ؟ قال : لا تقدموه ، قال : هو إمام القرية ، ليس لهم إمام غيره . قال : لا تقدموه ، لا تقدموه ، وجعل يصيح .

وقال سفيان : « البدعة أَحبُّ إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها »[٢] .

قال بشر بن منصور : سمعت سفيان الثوري يقول ، وسأله رجل فقال : على بابي مسجدٌ ، إمامه صاحب بدعة ؟ قال : لا تصل خلفه . قال : تكون الليلة المطيرة وأنا شيخ كبير ؟ قال : لا تُصَلِّ خلفه .

وقال له رجل : أوصني . قال : إياك والأهواء ، إياك والخصومة ، إياك والسلطان .

قال سفيان رحمه الله : « لا يستقيم قولٌ إلا بعمل ، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ إلا بنية ، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا بموافقة السنة »[٣] .

قال يوسف بن أسباط : قال سفيان : يا يوسف ، إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة فابعث إليه السلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة[٤] .

---

(١) الحلية ٣٧٩/٦ .

(٢) الحلية ٢٦/٧ .

(٣) الحلية ٣٢/٧ .

(٤) الحلية ٣٤/٧ .

شيخ الإسلام ، عالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته ، الرَّبَّاني المبارك ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك :

سيد العلماء ، كما سماه هارون الرشيد .

قال أسود بن سالم : كان ابن المبارك إمامًا يقتدى به ، كان من أثبت الناس في السنة، إذا رأيت الرجل يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام[١] .

وقال العمري : ما رأيت في دهرنا هذا من يصلح لهذا الأمر - يعني الإمامة - إلا ابن المبارك .

قال شقيق البلخي : قيل لابن المبارك : إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا ؟ قال : أجلس مع الصحابة والتابعين ، أنظر في كتبهم وآثارهم ، فما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس .

وقال : ليكن عمدتكم الأثر ، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث .

وقال رحمه الله : ليكن مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة[٢].

قال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، فقيل له : ألا تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه .

رحم الله إمام أهل المشرق والمغرب ، لشد ما كان بغضه لأهل البدع ، يقول عن جهم :

عجبتُ لشيطانٍ أتى النَّاس داعيًا   إلى النَّار وانشقَّ اسمه مِنْ جَهَنَّمِ

وكان يقول : « إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية »[٣].

---

(١) السير ٨/٣٩٥ .

(٢) السير ٨/٣٩٩ .

(٣) السير ٨/٤٠١ .

قال رجل لعبد الله بن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ، قد خفت الله تعالى من كثرة ما أدعو على الجهمية . قال : لا تخف ، فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيءٍ .

رحمة الله على ابن المبارك ، أمير المؤمنين في الاتباع والحديث والسنة .

قال أبو حاتم الفربري : « رأيت ابن المبارك واقفًا على باب الجنة بيده مفتاح ، فقلت : ما يوقفك هاهنا ؟ قال : هذا مفتاح الجنة ، دفعه إليّ رسول الله ﷺ وقال : حتى أزور الرب ، فكن أميني في السماء ، كما كنت أميني في الأرض »[1] .

الإمام الرَّبَّاني أبو إسحاق الفَزَاري إبراهيم بن محمد :

قال عبد الرحمن بن مهدي : كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة[2] .

وقال ابن مهدي رحمه الله : إذا رأيت شاميًّا يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري فهو صاحب سنة .

وقال أبو حاتم : اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به بلا مدافعة .

وقال أحمد العجلي عن الفزاري : صاحب سنة ، هو الذي أدب أهل الثغر ، وعلمهم السنة ، وكان يأمر وينهى . وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه.

قال أبو مسهر : قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق ، فاجتمع الناس ليسمعوا منه ، فقال : اخرج إلى الناس فقل لهم : من كان يرى القدر فلا

---

(١) السير ٨/٤١٩ .

(٢) الجرح والتعديل ١/٢٨٢ .

يحضر مجلسنا ، ومن كان يرى رأي فلانٍ فلا يحضر مجلسنا ، فخرجت إليهم فأخبرتهم .

قال أبو إسحاق : قال الأوزاعي في الرجل يسأل : أمؤمن أنت حقًّا ؟ قال : إن المسألة عن ذلك بدعة ، والشهادة عليه تعمق لم نكلفه في ديننا ، ولم يشرعه نبينا ﷺ ، القول فيه جدل ، والمنازعة فيه حدث[1] .

لما مات أبو إسحاق قال عطاء : ما دخل على الأمة من موت أحدٍ ما دخل عليهم من موت أبي إسحاق .

وقال ابن عيينة : « ما أعلم أحدًا من أهل الإسلام أجدى وأدفع عن أهل الإسلام من أبي إسحاق الفزاري »[2] .

نعم والله ، فقد « كان الفزاري عظيم الغناء في الإسلام » كما قال أبو حاتم ، وكم ذَبَّ عن السنة .

« يروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديثٍ وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها ، فيخرجانها حرفًا حرفًا » .

فرحم الله أبا إسحاق جزاء علو همته في اتباع نبيه ،والذبِّ عن سنته .

قال الفضيل : « رأيت النبي ﷺ في النوم ، وإلى جنبه فرجة ، فذهبت لأجلس ، فقال : هذا مجلس أبي إسحاق الفزاري »[3].

السّخْتِياني أيوب بن كَيْسان :

فتى الفتيان ، وسيد العباد والرهبان ، المنور بالاتباع والإيمان . سيد الفتيان ، وسيد شباب أهل البصرة كما قال له الحسن ، وسيد الفقهاء كما قال

---

(١) السير ٨/٥٤٣ .

(٢) الجرح والتعديل ١/٢٨٣ .

(٣) السير ٨/٥٤٢ - ٥٤٣ .

شعبة ، وجهبذ العلماء كما قال أشعث .

قال حماد بن زيد : أيوب عندي أفضل من جالسته ، وأشده اتباعًا للسنة[1] .

قال مالك بن أنس : كنا ندخل على أيوب السختياني ، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه .

قال أيوب : « ليبلغني أن الرجل من أهل السنة مات فكأنما أفقد بعض أعضائي »[2] .

وكان رحمه الله يبلغه موت الفتى من أصحاب الحديث فيرى ذلك فيه ، ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادةٍ فما يرى ذلك فيه .

وقال رحمه الله : إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .

وقال : إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله للعالم بسنة .

وأورد عنه البيهقي بسنده : إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا ، وأنبئنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضالٌّ .

قال حماد بن زيد : سمعت أيوب ، وقيل له : ما لك لا تنظر في هذا ؟ يعني الرأي . فقال : قيل للحمار:ألا تجترُّ ؟ فقال : أكره مضغ الباطل »[3] .

وكان إذا جلس إليه صاحب رأي قال : قوموا بنا ؛ لا يعدينا بجربه .

أما علوّ همته في بغض أهل البدع ومجانبتهم ، فحدث عنه ولا حرج .

---

(١) السير ٦/٢١ .

(٢) الحلية ٣/٣ - ١٢ .

(٣) السير ٦/١٧ ، ٢١ .

« قال سلام بن أبي مطيع : رأى أيوب رجلًا من أصحاب الأهواء فقال : إني لأعرف الذلة في وجهه ، ثم تلا ﴿ **سَيَنالهم غضبٌ من ربِّهم وذلة** ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ، ثم قال : هذه لكل مفترٍ . وكان يسمي أصحابَ الأهواء خوارج ، ويقول : إن الخوارج اختلفوا في الاسم ، واجتمعوا على السيف »[١] .

وعن سلام بن أبي مطيع : قال رجل من أهل الأهواء : أُكلمك كلمة . قال : لا ، ولا نصف كلمة .

وفي رواية : يا أبا بكر ، أسألك عن كلمة ؟ فولى وهو يقول : ولا نصف كلمة ، مرتين .

وعن هشام بن حسان : قال أيوب : ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا .

ناصرُ السُّنَّة الإمام المُطّلبيُّ الشَّافِعيُّ :

قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أتبع للأثر من الشافعي[٢] .

وذكر أحمد بن حنبل الشافعي فقال : لقد كان يذب عن الآثار .

وقال حرملة بن يحيى عنه : سميت ببغداد « ناصر الحديث » .

وقال الربيع بن سليمان : قال الشافعي : **قد أعطيتك جملةً تغنيك** إن شاء الله : لا تدع لرسول الله ﷺ حديثًا أبدًا ، إلا أن يأتي عن رسول الله ﷺ خلاف ، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت .

وقال الشافعي : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت .

---

(١) الحلية ٣/٩ ، والسير ٦/٢١ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ص٤٧١' ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبع مكتبة دار التراث ، الحلية ٩/٢٠٢ .

وقال : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وإذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط[(١)] .

وقال : إذا وجدتم سنة من رسول الله ﷺ خلاف قولي فخذوا بالسنة ، ودعوا قولي ؛ فإني أقول بها .

وقال : كل مسألةٍ تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل ، بخلاف ما قلت – فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي .

وقال : كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي ، وإن لم تسمعوه مني[(٢)] .

وقال : كل ما قلت وقال النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ، فحديث النبي ﷺ أولى ، ولا تقلدوني .

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول ، وروى حديثًا ، فقال له الرجل : تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به والجماعة ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب ، وأشار بيده على رءوسهم .

وقال الحميدي : سأل رجلٌ الشافعي بمصر عن مسألة ، فأفتاه وقال : قال النبي ﷺ كذا . فقال الرجل : أتقول بهذا ؟ قال : أرأيت في وسطي زِنَّارًا ؟ أتراني خرجت من الكنيسة ؟! أقول : قال النبي ﷺ وتقول لي : أتقول بهذا ؟ أروي عن رسول الله ﷺ ولا أقول به !![(٣)] .

وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول ، وسأله رجل عن مسألة فقال : روي عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا . فقال له السائل :

---

(١) السير ١٠/٣٥ .

(٢) السير ١٠/٣٥ ، مناقب الشافعي ص٤٧٣ .

(٣) مناقب الشافعي ص٤٧٤ ، والحلية ٩/١٠٦ ، وتوالي التأسيس ٦٣ .

يا أبا عبد الله ، أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال : ويحك ، أي أرضٍ تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئًا فلم أقل به ؟! نعم ، على الرأس والعينين ، على الرأس والعينين[١] .

وقال : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد ، وما سواه هذيان .

وقال : « لا يقال : لم ؟ للأصل ، ولا كيف » ويعني بالأصل : القرآن والسنة .

وقال الشافعي : لم أسمع أحدًا نسبته عامة ، أو نسب نفسه إلى علم - يخالف في أن فرض الله : اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه ؛ فإن الله لم يجعل لأحدٍ بعده إلا اتباعه ، وإنه لا يلزم قول بكل حالٍ إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، وإن ما سواهما تبع لهما . وإن فَرْض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد ، لا يختلف فيه أنه الفرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ .

وقال أحمد بن حنبل : إذا صحَّ عندكم الحديث عن النبي ﷺ ، فقولوا حتى أذهب إليه .

قال أحمد : كان أحسن أمر الشافعي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به ، وترك قوله .

وقال يحيى بن منصور القاضي : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وقلت له : هل تعرف سنة لرسول الله ﷺ في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه ؟ قال : لا .

وقال الشافعي رحمه الله : لولا أصحاب الحديث لكنا بياع الفول[٢] .

وقال : لولا أصحاب المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر .

---

(١) مناقب الشافعي ١/٤٧٥ .

(٢) مناقب الشافعي ١/٤٧٧ .

قال الربيع بن سليمان : قال الشافعي : اسقني قائمًا ، فإن النبي ﷺ شرب قائمًا .

قال سالم : قالت عائشة : طيبت رسول الله ﷺ بيدي ، وسنة رسول الله ﷺ أحقُّ أن تُتَّبع .

قال الشافعي : وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون من أهل العلم . **فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة لغيرها ، وترك ذلك الغير لرأي أنفسكم ، فالعلم إذن إليكم ، تأتون منه ما شئتم ، وتدعون منه ما شئتم**[١] .

وقال الشافعي رحمه الله : من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته ، ومن غلط فتركها خالفته . صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت عن رسول الله ﷺ وإن بعد ، والذي أفارق من لم يقبل سنة رسول الله ﷺ وإن قرب[٢] .

قال قتيبة بن سعيد : مات الثوري ومات الورع ، ومات الشافعي وماتت السنن ، ويموت أحمد وتظهر البدع[٣] .

ومن علو همّة الشافعي في الاتباع ، كان شديدًا على المبتدعة ، دائب التحذير من البدع : قال يونس بن عبد الله : قلت للشافعي : قال صاحبنا الليث بن سعد : لو رأيت صاحب هوًى يمشي على الماء ما قبلته . فقال الشافعي : أما إنه قصر ، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته[٤] .

وقال : لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنبٍ ما خلا الشِّرك بالله خير من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء . أي البدع .

---

(١) الأم للشافعي ٧/٢٠٠ ، والمناقب ١/٤٨٤ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٨٥ .

(٣) السير ١٠/٤٦ ، ومناقب الشافعي للبيهقي ٢/٢٥٠ .

(٤) مناقب الشافعي ص٤٥٣ .

وقال الشافعي : لقد اطلعت من أهل الكلام على شيءٍ ، والله ما توهمته قط ، ولَأَنْ يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه ، ما خلا الشرك بالله ، خير من أن يبتليه الله بالكلام .

ودخل حفص الفرد - وكان الشافعي يسميه المنفرد - على الشافعي فكلمه ، ثم خرج فقال : لأن يلقى الله العبد بذنوبٍ مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرفٍ مما عليه هذا الرجل وأصحابه ، وكان يقول بخلق القرآن . وكفر الشافعي حفصًا الفرد .

قال الربيع : لقيت حفصًا الفرد فقال : أراد الشافعي قتلي .

وقال الشافعي : ما ارتدىٰ أحدٌ بالكلام فأفلح .

وقال : لو علم الناس ما في الكلام والأهواء ، لفروا منه كما يفرون من الأسد .

وقال : ما شيءٌ أبغض إليّ من الكلام وأهله .

وقال الشافعي : حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ .

وقال الزعفراني : سمعنا الشافعيّ يقول : حكمي في أهلِ الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر ، ينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال : مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط ، وتشريدهم في البلاد .

قال الذهبي : هذا النفس الزكي متواتر عن الشافعي .

وسئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال : سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه ، أخزاهم الله .

وقال الشافعي للربيع : يا ربيع ، اقبل مني ثلاثة : لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ ، فإن خصمك النبي ﷺ غدًا ، ولا تشتغل بالكلام ، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل ، وزاد المزني :

ولا تشتغل بالنجوم .

ودخل الشافعي على المأمون وعنده بشر المريسي ، فقال أمير المؤمنين للشافعي : أتدري من هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . قال : هذا بشر المرِيسيّ . قال : فقال الشافعي لبشر : أَدخلك اللَّهُ أسفل السافلين ، مع فرعون وهامان وقارون .

قال الربيع : انحدر علينا الشافعي من درجته يومًا وهم يتجادلون في القدر ، فصاح : إما أن تقوموا عنا أو تجاورونا بخير .

ولما نقض إبراهيم بن إسماعيل بن علية كلام الشافعي في « تثبيت خبر الواحد » قال الشافعي : ابن عليّة ضالٌّ ، قد جلس عند باب الضّوال يضل الناس .

وقال المزني : « كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي ، فلما قدم أتيته ، فسألته عن مسألة من الكلام ، فقال لي : تدري أين أنت ؟ قلت : نعم ، في مسجد الفسطاط . قال أنت في « تاران » تلطمك أمواجه - وتاران موضعٌ في بحر القَلْزم ، لا تكاد تسلم منه سفينة - ثم ألقى عليّ مسألة في الفقه ، فأجبت ، فأدخل شيئًا أفسد جوابي ، فأجبت بغير ذلك ، فأدخل شيئًا أفسد جوابي ، فجعلت كلما أجبت بشيءٍ أفسده ، ثم قال لي : هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس ، يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام في رب العالمين ؟ الذي فيه الزلل كثير ؟! فتركت الكلام وأقبلت على الفقه »[1] .

وفي رواية أخرى : قال المزني : « قلت : إن كان أحد يخرج ما في ضميري ، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي ، فصرت إليه ، وهو في مسجد مصر ، فلما جثوت بين يديه ، قلت : هجس في ضميري

---

(١) السير ١٠/٢٦ ، ٣١ - ٣٢ .

مسألة في التوحيد ، فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمك ، فما الذي عندك ؟ فغضب ، ثم قال : أتدري أين أنت ؟ قلت : نعم ، قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون . أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت : لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا ، قال : تدري كم نجمًا في السماء ؟ قلت : لا ، قال : فكوكب منها ؛ تعرف جنسه ، طلوعه ، أفوله ، مِمَّ خُلِق ؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه ، تتكلم في علم خالقه ؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء ، فأخطأت فيها ، ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أُصب في شيء منه ، فقال : شيءٌ تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه ، وتتكلف علم الخالق ، إذا هجس في ضميرك ذلك ، فارجع إلى الله ، وإلى قوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إنَّ في خلق السمٰوات والأرض** ﴾ الآية [البقرة : ١٦٣ - ١٦٤] . فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك . قال فتبت »[١] .

قال أحمد بن حنبل : إن الله يُقيض للناس في رأس كل مائة من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب ، قال : فنظرنا ، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المائتين الشافعي »[٢] .

شيخ المُحَدِّثين وقامع البدع : يزيد بن هارون :

انظر إلى قامع البدع الذي يخشاه ويرهبه المأمون . قال ابن الجوزي : « كان هارون الرشيد يقول : بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه قتلةً ما قتلتها أحدًا .

قال أحمد : فكان بشر متواريًا أيام هارون نحوًا من عشرين سنة ، حتى

(١) السير ١٠/٢٦ ، ٣١ - ٣٢ .
(٢) السير ١٠/٤٦ .

مات هارون ، فظهر ودعا إلى الضلالة ، وكان من المحنة ما كان .

فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين ، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ، ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه .

قال ابن أكثم : قال لنا المأمون لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق . فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، ومن يزيد حتى يتقى ؟ قال : فقال : ويحك . إني أخاف إن أظهرته فيردّ عليّ فيختلف الناس وتكون فتنة ، وأنا أكره الفتنة . قال : فقال الرجل : فأنا أخبر ذلك منه ، فقال له : نعم . فخرج إلى واسط ، فجاء إلى يزيد فدخل عليه المسجد وجلس إليه ، فقال له : يا أبا خالد ، إن أمير المؤمنين يقرئك السَّلام ، ويقول لك : إني أُريد أن أظهر أن القرآن مخلوق ، قال : فقال : كذبت على أمير المؤمنين ، لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه ، فإن كنت صادقًا فاقعد إلى المجلس ، فإذا اجتمع الناس فقل . قال : فلما أن كان الغد اجتمع الناس فقام فقال : يا أبا خالد ، رضي الله عنك ، إن أمير المؤمنين يقرئك السَّلام ويقول لك : إني أردت أن أُظهر أن القرآن مخلوق ، فما عندك في ذلك.؟ قال : كذبت على أمير المؤمنين ، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه ، وما لم يقل به أحد . قال : فقدم فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت أعلم ، كان من القصة كيت وكيت . فقال له : ويحك تلعب بك »[1] .

فانظر إلى الشيخ الأثري الذي يخاف أميرُ المؤمنين جنانه ، ولا يستطيع

---

(١) مناقب الإمام ص٣٨٥ - ٣٨٦ .

إظهار البدعة خوفًا منه ... انظر إليه وهو يتلعَّب بحاشية وخواص أمير المؤمنين ويقمع البدعة على ملأ من الناس .

مُعلِّمُ الخير وإمام أهل السُّنَّة الإمام أحمد بن حنبل :

قال سفيان بن وكيع : أحمد بن حنبل مِحْنةٌ ؛ من عاب عندنا أحمد ابن حنبل فهو فاسق .

إذا مُيزَ الأشياخُ يومًا وحُصِّلوا ... فأحمدُ من بين المشايخ جوهرُ
لَعَمْركَ ما يهوىٰ لأحمد نكبة ... من الناس إلا ناقصُ العقل معورُ
هو المحنة اليومَ الذي يُبْتلىٰ به ... فيعتبر السُّنِّي فينا ويُستَرُ
شجًى في حلوقِ الملحدين وقرّة ... لأعينِ أهل النُّسْك عفّ مُشمِّرُ[1]

رحم الله إمام أهل السنة ، علت به همته في الاتباع حتى استحق الرجل السنة بمحبته .

أحمد بن حنبل ... فكم الفرق بين رجل يحب السنة ، ورجل تصير محبته رمزًا لمحبة السنة .

« قال قتيبة بن سعيد : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة .

وقال : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه على الطريق .

وقال أبو حاتم : إذا رأيتَ الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة .

وقال أبو جعفر محمد بن هارون المخرمي ، المعروف بالفلاس : إذا رأيت الرجل يقع في أحمد بن حنبل فاعلم أنه مبتدع ضال »[2] .

رحم الله ابن حنبل .. ما قام أحدٌ بالسنة وللسنة مثلما قام ، ويكفيه

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٥١٩ .

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ص٣٠٨ - ٣٠٩ .

شرفًا ثباته ودفاعه عن القرآن وعقيدة أهل السنة .

يقول علي بن المديني : « إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ، ليس لهما ثالث إلى يوم القيامة ، بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد ابن حنبل يوم المحنة . وقد كان لأبي بكر الصديق أصحاب وأعوان ، وأحمد ليس له أعوانٌ ولا أصحاب » .

وقال المزني : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلي يوم صفين .

فبُورِكَ مولـودًا وبـورك ناشئًا ... وبُورِك كهلًا من أمينٍ معَـدَّلِ
وبورك مقبوضًا وبورك مُلْحَدًا ... وبورك مبعوثًا إلى خير منـزِلِ
وبَعْدُ فإن السّنة اليوم أصبحتْ ... مُعزَّزةً حتى كـأنْ لـم تذلل
تصول وتسطو إذ أقيـم منارها ... وحُطَّ مَنَارُ الإفك والزُّور من عَلِ
وولى أخو الإبداع في الدّين هاربًا ... إلى النار يهوي مدبرًا غير مقبلِ

قال أبو عمير الطالقاني : سمعتهم يقولون : أحمد بن حنبل قرة عين الإسلام .

وقال أبو حاتم الرازي : إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل ، فاعلم أنه صاحب سنة . وهو المحنة بيننا وبين أهل البدع .

وقال أبو الحسن الهمداني : « أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق »[١] .

تعالَ يا أخي إلى الإمام الذي لو كان في بني إسرائيل لكان آية ، وإلى تمسكه بالسنة والأثر ، يقول ابن الجوزي :

---

(١) مناقب الإمام أحمد .

« كان رضي الله عنه شديد الاتباع للآثار ؛ حتى إنه بلغنا عن أبي الحسين بن المنادي أنه قال : استأذن أحمد زوجته في أن يتسرَّىٰ طلبًا للاتباع فأذنت له ، فاشترى جاريةً بثمنٍ يسير وسماها ريحانة ، استنانًا برسول الله ﷺ .

وقال الحسن بن أيوب البغدادي : قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : أحياك الله يا أبا عبد الله على الإسلام . قال : والسنة .

قال عبد الملك الميموني : ما رأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل ، وما رأيت أحدًا من المحدثين أشد تعظيمًا لحرمات الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ، إذا صحت عنده ، ولا أشد اتباعًا منه .

قال أبو بكر الأثرم : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : إنما هو السنة والاتباع ، وإنما القياس أن يقيس على أصل ، أما أن تجيء إلى الأصل فتهدمه ثم تقول : هذا قياس ، فعلى أي شيءٍ كان هذا القياس .

قيل لأبي عبد الله : لا ينبغي أن يقيس إلا رجلٌ عالم كبير ، يعرف كيف يشبه الشيء بالشيء ؟ قال : أجل ، لا ينبغي . ورأيت أبا عبد الله فيما سمعنا منه من المسائل ، إذا كان في المسألة عن النبي ﷺ حديث لم يأخذ فيها بقول أحدٍ من الصحابة ولا من بعده خلافه . وإذا كان في المسألة عن أصحاب رسول الله ﷺ قول مختلف تخير من أقاويلهم ، ولم يخرج من أقاويلهم إلى قول من بعدهم . وإذا لم يكن فيها عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه قول ، تخير من أقوال التابعين ، وربما كان الحديث عن النبي ﷺ وفي إسناده شيء فيأخذ به إذا لم يجيء خلافه أثبت منه ، مثل حديث عمرو بن شعيب ، ومثل حديث إبراهيم الهجري ، وربما أخذ بالحديث المرسل .

قال أبو بكر المروذي : خرجت مع أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل إلى المسجد ، فلما دخل قام ليركع ؛ فرأيته وقد أخرج يده من

كمه وقال هكذا – وأومأ بأصبعيه يحركهما – فلما قضى الصلاة قلت : يا أبا عبد الله ، رأيتك تومي بأصبعيك وأنت تصلي ؟ قال : إن الشيطان أتاني فقال : ما غسلت رجليك . قلت : بشاهدين عدلين .

وقال الميموني : قال لي أحمد بن حنبل : يا أبا الحسن ، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام .

قال عبد الرحمن الطبيب : اعتل أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث ، فكنت أدخل على بشر فأقول : كيف تجدك ؟ فيحمد الله ثم يخبرني ، فيقول : أحمد الله إليك ، أجد كذا وكذا . وأدخل على أبي عبد الله أحمد ابن حنبل فأقول : كيف تجدك يا أبا عبد الله ؟ فيقول : بخير . فقلت له يومًا : إن أخاك بشرًا عليل ، وأسـأله عن حاله فيبدأ بحمد الله ثم يخبرني . فقال لي : سله عمن أخذ هذا ؟ فقلت له : إني أهاب أن أسأله . فقال : قل له : قال لك أخوك أبو عبد الله : عمن أخذت هذا ؟ قال : فدخلت عليه فعرفته ما قال ، فقال لي : أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بإسناده ؛ عن ابن عون ، عن ابن سيرين ؛ إذا حمد الله العبدُ قبل الشكوى لم تكن شكوى ، وإنما أقول لك : أجد كذا ، أعرف قدرة الله فيَّ . قال : فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال ؛ فكنت بعد ذلك إذا دخلت إليه يقول : أحمد الله إليك ، ثم يذكر ما يجده .

وقال المروذي : قال لي أحمد : ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به ، حتى مرّ بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا ؛ فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت .

وقال إسحاق بن حبة الأعمش : سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن الوساوس والخطرات ، فقال : ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال أبو بكر المروذي : قلت لأبي عبد الله : من مات على الإسلام

والسنة مات على خير ؟ فقال لي : اسكت ، من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله »[١] .

« قال أبو داود : قلت لأحمد : الأوزاعي هو أتبع أم مالك ؟ قال : لا تقلّد دينك أحدًا من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعد ، الرجل فيهم مخير .

وقال أبو داود : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه ، ثم هو من بعد مع التابعين مخيّر . وقال أحمد أيضًا : « لا تقلّدْني ، ولا تقلد مالكًا ، ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا » . وقال : من قلة فقه الرجل أن يقلّد دينه الرجال .

قال ابن القيم : ولأجل هذا لم يؤلف الإمام أحمد كتابًا في الفقه ، وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك »[٢] .

قال أبو بكر المروذي : رأيت رجلًا خراسانيًّا قد جاء إلى أبي عبد الله ، فأعطاه جزءًا ، فنظر فيه أبو عبد الله ، فإذا فيه كلام لأبي عبد الله ، فغضب فرمى الكتاب من يده .

ومن تعظيمه وعلو همته في الاتباع كان الإمام أحمد يعظم أهل السنة والنقل :

قال رحمه الله : « من عظّم أصحاب الحديث تعظّم في عين رسول الله ﷺ ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ﷺ ؛ لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله ﷺ .

قال الفضل بن أحمد الزبيدي : سمعت أحمد بن حنبل يقول ، وقد أقبل أصحاب الحديث وبأيديهم المحابر ، فأومأ إليها وقال : هذه سرج الإسلام .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ٢٢٩ - ٢٣٤ .

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، لصالح بن محمد الفلّاني ص١١٣ .

وقال أبو عمران المالكي : رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث ، والمحابر بأيديهم ، فقال أحمد : إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس .

وقال عمر بن بكار القافلاني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون .

وقال رحمه الله : من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة »[1] .

أخي : لقد كان يوم موت أحمد نصرًا لأهل السنة .. فما ظنك برجل نصر السنة حتى في يوم موته .. فكيف نصره للسنة في حياته :

قال عبد الله بن أحمد : « سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز » . ولمَّا مات رحمه الله كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام .

قال عبد الوهاب الوراق : « ما بلغنا أن جمعًا كان في الجاهلية والإسلام مثله ، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر على التصحيح ، فإذا هو نحو من ألف ألف ، وحزرنا على السور نحوًا من ستين ألف امرأةٍ . وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ، ينادون من أراد الوضوء » .

وقال أبو زرعة : بلغني أن المتوكل أمر أن يُمسح الموضع الذي وقف عليه الناس ، حيث صُلِّي على أحمد بن حنبل ، فبلغ مقام ألف ألفٍ وخمسمائة ألف .

« قال محمد بن إبراهيم البوشنجي : صلوا على أحمد بن حنبل في المصلى ، وظهر اللعن على الكرابيسيّ . فأخبر بذلك المتوكل فقال : من الكرابيسي ؟ فقيل : إنه رجل أحدث قولًا لم يتقدمه أحد ، فأمره بلزوم بيته حتى مات .

---

(١) مناقب الإمام أحمد .

وقال جعفر بن محمد النسوي : شهدت جنازة أحمد بن حنبل وفيها بَشَرٌ كثير ، والكرابيسي يلعن لعنًا كثيرًا بأصوات عالية ، والمريسي أيضًا .

قال عبد الوهاب الوراق : أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنة والطعن على أهل البدع ، فسر الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة ؛ لِمَا رأوْا من العز وعلو الإسلام ، وكبتَ الله أهل البدع والزيغ والضلالة »[١] .

لله درّك ابن حنبل من إمامٍ لأهل السنة ... بأبي هو وأمي ، ما كان أعمق فهمه لعقيدة أهل السنة ، يقول رحمه الله : « لا يكون صاحب الكلام - إن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويُسَلّم »[٢] .

وهو نفس المحكي عن ابن المديني : « الكلام في القدر وغيره من السنة مكروه ، ولا يكون صاحبه - وإن أصاب السنة بكلامه - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالإيمان » .

نعم ، إن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة ، وإن أصاب بكلامه السنة ، حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب بل التلقي والاستمداد منها ، فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ ، وإن وافقها في النتيجة[٣] .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٥٧ .

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة ، للدكتور سفر الحوالي ، من بحثٍ له في مجلة البحوث الإسلامية .

انظر رحمك الله إلى شدة اتباع أحمد بن حنبل :

اختفى أحمد أيام الواثق عند إبراهيم بن هانىء . قال إبراهيم : اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ، ثم قال : اطلب لي موضعًا حتى أتحوَّل إليه . قلت : لا آمن عليك يا أبا عبد الله . فقال : افعل ، فإذا فعلت أفدتك ، وطلبت له موضعًا . فلما خرج قال لي : اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحوّل ، وليس ينبغي أن يُتَّبع رسول الله ﷺ في الرخاء ويترك في الشدة[1] .

لله دَرُّك إمام أهل السنة .

ولابن حنبل الصِّدِّيق نورُ هدى	حتى القيامة مثل البدر في الغَسَقِ
وفَضْله بين أهل الفضل مُشتهرٌ	وإصبعاه من الزِّنْديق في الحَدَقِ

إعراضه عن أهل البدع :

قال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل : كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ، ذكروا لابن أبي قُتَيْلة بمكة أصحاب الحديث فقال : قوم سوء . فقام أحمد وهو ينفض ثوبه فقال : زنديق زنديق زنديق . ودخل بيته .

وقال صالح بن أحمد : جاء الحزامي إلى أبي ، وقد كان ذهب إلى ابن أبي دؤاد ، فلما خرج إليه ورآه أغلق الباب في وجهه ودخل .

وقال أبو داود السجستاني : قلت لأبي عبد الله : أرى رجلًا من السنة مع رجل من أهل البدع ، أترك كلامه ؟ قال : لا ، أو تعلمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة ، فإن ترك كلامه وإلا **فألحقْهُ** به . قال ابن مسعود:« المرء بخِدْنِه » .

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٤٣٠ .

وقال الحسن بن ثواب : قال لي أحمد بن حنبل : ما أعلم في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان . قلت : ولم ؟ قال : ظهرت بدعٌ ، فِمن لم يكن عنده حديث وقع فيها .

لله دَرُّك يا إمام ، ما أفطنك .

قال حسان بن عطية : ما ابتدع قوم بدعةً في دينهم إلا نَزَع الله من سُنَّتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة .

وسئل أحمد بن حنبل عن الوَسَاوس والخطرات ، فقال : ما تكلَّم فيها الصحابة ولا التابعون .

وقال أبو القاسم النصر أباذي : بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل ، فاختفى في دارٍ ببغداد ومات فيها ، ولم يُصَلِّ عليه إلا أربعة نفرٍ .

أرسل الإمام أحمد إلى المتوكل : « إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيءٍ من أمور المسلمين ، فإن في ذلك من أعظم الضرر على الدينِ ، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - من التمسك بالسنة والمخالفة لأهل البدع »[(١)] .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : قبورُ أهل السنة من الفُسَّاق روضةٌ من رياض الجنة ، وقبورُ أهل البدع من الزُّهاد حفرة من حفر النار »[(٢)] .

الإمام الرباني ، شيخ الإسلام ، السليم الأسلم ، المذكور بالسواد الأعظم الطوسي أبو الحسن محمد بن أسلم :

كان بالآثار مُقتديًا ، وعن الآراء مُنتهيًا .

« قال أبو عبد الله الحاكم : كان من الأبدال المُتتبِّعين للآثار .

---

(١) مناقب الإمام ص٢٣٣ .

(٢) مناقب الإمام ٢٣٦ - ٢٤١ .

وقال قبيصة : كان ابن مسعود أشبه الناس برسول الله ﷺ ، يعني في هَدْيه وسَمْتِه ، وكان علقمه يشبَّه بابن مسعود في ذلك ، ويشبَّه بعلقمة إبراهيم ، وبإبراهيم منصور ، وبمنصور سفيان ، وبسفيان وكيع .

قال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقام وكيع ، وأفضل من مقامه ؛ لزهده وورعه وتتبعه للأثر »[1] .

« قال إسحاق بن راهويه : وذكر في حديثٍ رفعه إلى النبي ﷺ ، قال : « إن الله لم يكن ليجمع أُمّة محمدٍ على ضلالة ، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم »[2]، فقال رجل : يا أبا يعقوب ، من السواد الأعظم ؟ فقال : محمد بن أسلم وأصحابه ومن تبعه . ثم قال : سأل رجلٌ ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن ، من السواد الأعظم ؟ فقال : أبو حمزة السكوني . ثم قال إسحاق:في ذلك الزمان ؛ يعني أبا حمزة ، وفي زماننا محمد ابن أسلم ومن تبعه . ثم قال إسحاق : لو سألت الجهال : من السواد الأعظم ؟ قالوا : جماعة الناس ، ولا يعلمون أن الجماعة عالمٌ متمسِّك بأثر النبي ﷺ وطريقه ، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ، ومن خالفه فيه ترك الجماعة . ثم قال إسحاق : لم أسمع عالمًا منذ خمسين سنة كان أشد تمسكًا بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم »[3].

---

(١) السير ١٢/١٩٦ .

(٢) أخرجه ابن ماجة ، وإسناده ضعيف ، ورواه أبو يعلى الموصلي ، وأبو داود وأحمد والترمذي وأبو نعيم والحاكم وابن منده والضياء في المختارة عن أنس بن مالك وأبي مالك الأشعري وأبي بصرة وابن عمر وأبي ذر ، وفي كلها نظر كما قاله العراقي . قال شعيب الأرنؤوط . لكن بمجموعها يتقوى الحديث . انظر هامش السير ١٢/١٩٧ .

(٣) السير ١٢/١٩٦ - ١٩٧ ، الحلية ٩/٢٣٨ - ٢٣٩ .

قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم : سمعت أبا يعقوب المروزي ببغداد ، وقلت له : قد صحبت محمد بن أسلم ، وصحبت أحمد ابن حنبل ، أي الرجلين كان عندك أرجح أو أكثر أو أبصر بالدين ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، لم تقول هذا ؟ إذا ذكرت محمد بن أسلم في أربعة أشياء فلا تقرن معه أحدًا : البصر بالدين ، واتباع أثر النبي ﷺ في الدنيا ، وفصاحة لسانه بالقرآن والنحو . ثم قال لي : نظر أحمد بن حنبل في كتاب الرَّدّ على الجهمية ، الذي وضعه محمد بن أسلم ، فتعجب منه ، ثم قال : يا أبا يعقوب ، رأت عيناك مثل محمدٍ ؟ فقلت : يا أبا عبد الله لا يغلظ رأي محمد من أستاذيه ورجاله مثله . فتفكر ساعةً ثم قال : لا ، قد رأيتهم وعرفتهم ، فلم أر فيهم على صفة محمد بن أسلم .

قال أبو عبد الله : وسألت يحيى بن يحيى عن ست مسائل فأفتى فيها ، وقد كنت سمعت محمد بن أسلم أفتى فيها بغير ذلك ، احتج فيها بحديث النبي ﷺ ، فأخبرت يحيى بن يحيى بفتيا محمد بن أسلم فيها ، فقال : يا بني أطيعوا أمره ، وخُذُوا بقوله ، فإنه أبصر منا ؛ ألا ترى أنه يحتج بحديث النبي ﷺ في كل مسألة ، وليس ذاك عندنا .

قال أبو عبد الله : سمعت إسحاق بن راهويه - ذات يومٍ - روى في ترجيع الأذان أحاديث كثيرة ، ثم روى حديث عبد الله بن زيد الأنصاري ، ثم قال : يا قوم قد حدثتكم بهذه الأحاديث في الترجيع ، وليس في غير الترجيع إلَّا حديث واحد ؛ حديث عبد الله بن زيد ، وقد أمر محمد بن أسلم الناس بالترجيع فقلتم : هذا مبتدع ، عامَّةُ أهل بلده بالكُورة غَوْغَاء ، ثم قال : احذروا الغوغاء ، فإن الأنبياء قتلتهم الغوغاء . فلمّا كان الليل دخلت عليه فقلت : يا أبا يعقوب ، حدثت هذه الأحاديث كلها في الترجيع ، فما لك لا تأمر مؤذنك بالترجيع ؟ قال : يا مغفل ، ألم

تسمع ما قلت في الغوغاء ، إنما أخاف الغوغاء ، فأمّا أمر محمدِ بن أسلم ، فإنه سماويّ ، كلَّما أخذ في شيءٍ ، تمَّ له ، ونحن عنده عبيد بطوننا ، لا يتم لنا أمْرٌ نأخذ فيه ، نحن عند محمد بن أسلم من السُّرَّاق .

لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال ، فهذا كلام إسحاق بن راهويه شيخ البخاري .

قال أبو عبد الله : وكتب إلّي أحمد بن نصر : أن اكتب إلّي بحال محمد بن أسلم ، فإنه ركن من أركان الإسلام .

وقال لخادمه عند موته : « يا أبا عبد الله ؛ أنا معك وقد علمت أن معي في قميصي من يشهد علي ، فكيف ينبغي لي أن آتي الذنوب ، إنما يعمل الذنوب جاهلٌ ينظر فلا يرى أحدًا ، فيقول : ليس يراني أحدٌ ، أذهب فأُذنب . فأما أنا كيف يمكنني ذلك وقد علمت أن داخل قميصي من يشهد علي . ثم قال : يا أبا عبد الله ، ما لي ولهذا الخلق ، كنت في صلب أبي وحدي ، ثم صرت في بطن أمي وحدي ، ثم دخلت الدنيا وحدي ، ثم تقبض روحي وحدي ، وأدخل في قبري وحدي ، ويأتيني منكر ونكير فيسألأني في قبري وحدي ، فإن صرت إلى خيرٍ صرت وحدي ، وإن صُرت إلى شرٍّ كنت وحدي ، ثم أوقف بين يدي الله وحدي ، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي ، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدي ، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي ، فما لي وللناس . ثم تفكرَ ساعةً فوقعت عليه الرّعدة ، حتى خشيتُ أن يسقط ، ثم رجعت إليه نفسه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، إن هؤلاء قد كتبوا رأي أبي حنيفة ، وكتبت أنا الأثر ، فأنا عندهم على غير طريقٍ ، وهم عندي على غير طريقٍ . وقال لي : يا أبا عبد الله ، أصل الإسلام في هذه الفرائض ، وهذه الفرائض في حرفين ، ما قال الله ورسوله : افعل . فهو فريضة ينبغي أن يفعل ، وما قال الله ورسوله : لا تفعل . فينبغي أن ينتهى عنه ، فتُركه فريضة ، وهذا في

القرآن ، وفي فريضة النبي ﷺ ، وهم يقرءونه ولكن لا يتفكرون فيه ، قد غلب عليهم حب الدنيا . ثم قال : حديث عبد الله بن مسعود : خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا فقال : « هذا سبيل الله » ، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : « هذه سبل ، على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعُوه ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة ، وأُمّتي تفترق على ثلاثةٍ وسبعين ، كلها في النار إلّا واحدة » . قالوا : يا رسول الله ﷺ ، من هم ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فرجع الحديث إلى واحدٍ ، والسبيل الذي قال في حديث عبد الله بن مسعود : « الذي قال ما أنا عليه وأصحابي » فدين الله في سبيلٍ واحدٍ ، فكل عملٍ أوله أعرضه على هذين الحديثين ، فما وافقهما عملته ، وما خالفهما تركته ، ولو أن أهل العلم فعلوا ، لكانوا على أثر النبي ﷺ ، ولكنهم فتنهم حب الدنيا وشهوة المال ، ولو كان في حديث عبد الله ابن عمرو الذي قال : « كلها في النار إلا واحدة » قال : « كلها في الجنة إلا واحدة » لكان ينبغي أن يكون قد تبين علينا في خشوعنا وهمومنا وجميع أمورنا ، خوفًا أن يكون من تلك الواحدة ، فكيف وقد قال : « كلها في النار واحدة »(١) .

وقال أبو عبد الله : « وولد له ابنٌ فدفع إليّ دراهم وقال : اشتر كبشين عظيمين وغال بهما فإنه كلما كان أعظم كان أفضل . فاشتريت له وأعطاني عشرة دراهم فقال : اشتر به دقيقًا واخبزه . فنخلت الدقيق وخبزته ، ثم جئت به فقال : نخلت هذا ؟ فأعطاني عشرة دراهم أُخَر وقال :

(١) الحلية ٩/٢٤١ - ٢٤٤ .

اشتر به دقيقًا ولا تنخله واخبزه . فخبزته وحملته إليه ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، إن العقيقة سنة ، ونخل الدقيق بدعة ، ولا ينبغي أن يكون في السنة بدعة ، فلم أُحب أن يكون ذلك الخبز في بيتي بعد أن يكون بدعة » .

الله أكبر . نخل الدقيق مباح ... ولكنه يريد أن يقتفي أثر الرسول ﷺ الذي ما رأى منخلًا قط منذ أن ابتعثه الله .

فرحم الله شيخ الإسلام الطوسي ، الذي ما علم بسنةٍ إلّا وعملها ، إلّا سنة واحدة أعيته ، وهي أن يطوف بالبيت راكبًا مثلما طاف رسول الله ﷺ بالبيت راكبًا .

سيِّد الحُفّاظ أبو زُرْعَة الرَّازِي عُبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد :

« قال يونس بن عبد الأعلى : أبو زرعة أشهر في الدنيا من الدنيا .

وقال محمد بن يحيى : لا يزال المسلمون بخيرٍ ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة ، يُعلِّم الناس وما كان الله ليترك الأرض إلَّا وفيها مثل أبي زرعة يعلّم الناس ما جهلوه .

وقال محمد بن إسحاق الصاغاني : أبو زرعة يشبه بأحمد بن حنبل »[١] .

وتحت باب « ما ذكر من بدو مكاشفة أبي زرعة لأهل الرأي ، وإظهاره السنن ومقاساته أذى القوم » كتب ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٣٤٧/١) يقول : « سمعت أبا زرعة يقول : قال لي أبو جعفر الجمال : ما لهم - يعني أصحاب الرأي - سواك » .

وقال أبو زرعة : ما رغبت قط في سكنى الري ، وما كاشفت القوم وأنا أريد مزاحمتهم في دنيا ولا مال ولا في ضيعة ، وقلت في نفسي : أنا لست براغبٍ في شيءٍ من هذا ، فأُقاسي إظهار السنن ، فإن كان كَونٌ ،

---

(١) السير ٧٠/١٣ - ٧٤ .

خرجت وهربت إلى طرسوس .

وقال أبو زرعة : قال لي السّرّي بن معاذ : لو أني قبلت لأُعطيت مائة ألف درهم قبل الليل فيك وفي ابن مسلمٍ ، من غير أن أحبسكم ولا أضربكم أكثر من أن أمنعكم من التحديث .

سبحان الله : هكذا الخوف من إظهار السنن ونشر الاتباع .

« قال الحسن بن أحمد بن الليث : سمعت أحمد بن حنبل ، وسأله رجلٌ فقال : بالري شابٌّ يقال له : أبو زرعة ، فغضب أحمد وقال : تقول : شاب ؟! كالمنكر عليه ، ثم رفع يديه ، وجعل يدعو الله عز وجل لأبي زرعة ويقول : اللهم انصره على من بغى عليه ، اللهم عافه ، اللهم ادفع عنه البلاء ، اللهم ... اللهم ، في دعاء كثير . قال الحسن : فلما قدمت الري حكيت ذلك لأبي زرعة ، وحملت إليه دعاء أحمد بن حنبل له ، وكنت كتبته عنه ، فكتبه أبو زرعة ، وقال لي أبو زرعة : ما وقعت في بلية فذكرت دعاء أحمد ، إلا ظننت أن الله عز وجل يفرج بدعائه عني .

وكتب عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني - المعروف بـ « رُسْتَة » - من أصبهان إلى أبي زرعة : اعلم - رحمك الله - أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك - ليلي ونهاري - أن يُمتع المسلمون بطول بقائك ، فإنه لا يزال الناس بخيرٍ ما بقي من يعرف العلم وحقه من باطله ، ولولاك لذهب العلم وصار الناس إلى الجهل ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ، وقد جعلك الله منهم ، فاحمد الله على ذلك ، فقد وجب لله عز وجلّ عليك الشكر في ذلك » .

« وكتب إليه إسحاق بن راهويه : اعلم - أبقاك الله - أني كنت أسمع من إخواننا القادمين علينا ، ومن غيرهم ، حالك وما أنت عليه من

العلم والحفظ ، فأُسرّ بذلك ، وإني أزداد بك كل يومٍ سرورًا ، فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سنته ، وهو من أعظم ما يحتاج إليه الطالب اليوم ، وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يفرط حُبًّا لك ، وإن لم يكن فيك - بحمد الله - إفراط »[(١)] .

قال أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة[(٢)] .

وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازي : مذهبنا واختيارنا وما نعتقده وندين الله به .. ترك النظر في موضع البدع .. وترك رأي الملبِّسين المُموِّهين المُزَخْرفين .. وترك النظر في كتب الكرابيسي ... وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار .

وكانا يقولان : لا يفلح صاحب كلام أبدًا .

وقال أبو زرعة : هؤلاء المتكلمون لا تكن منهم بسبيل ، فإن آخر أمرهم يرجع إلى شيءٍ مكشوف ينكشفون عنه ، وإنما يتموّه أمرهم سنةً أو سنتين ، ثم ينكشف ، فلا أرى لأحدٍ أن يناضل عن أحدٍ من هؤلاء ، فإنهم إن يهتكوا يومًا قيل لهذا المناضل : أنت من أصحابه ، وإن طلب يومًا طلب هذا به . لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء[(٣)] .

---

(١) الجرح والتعديل ١/٣٤١ - ٣٤٤ .

(٢) الكفاية للخطيب ص٤٩ .

(٣) الضعفاء للبرذعي ص٥٥٣ ، وتاريخ بغداد ٨/٣٧٣ ، وطبقات الشافعية ٢/ ٢٨٥ .

وسُئل أبو زرعة عن كتب الحارث المحاسبي ، فقال : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدعٍ وضلالات ، عليك بالأثر ، تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب . فقيل له : في هذه الكتب عبرة . فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن مالك ابن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟! هؤلاء قومٌ خالفوا أهل العلم ، فأتَوْنا مرةً بالحارث المحاسبي ، ومرة بعبد الرحيم الدبيلي ، ومرة بحاتم الأصم ، ومرة بشقيقٍ البلخي[1] ، ما أسرع الناس إلى البدع[2] .

وقال أبو زرعة : إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة ، فلا تشك أنه رافضيٌّ ، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحولٍ والأوزاعي ، فلا تشك أنه ناصبي ، وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبد الله بن المبارك ، فلا تشك في أنه مرجىء ، واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعةٌ على بغض أحمد بن حنبل ؛ لأنه ما منهم أحد إلَّا وفي قلبه منه سهمٌ لا برء له[3] .

وانظر - رحمك الله - إلى حرص أبي زرعة على نشر السنة ، ولو عند الاحتضار :

« قال أحمد بن إسماعيل ؛ ابن عم أبي زرعة : سمعت أبا زرعة يقول في مرضه الذي مات فيه : اللهم إني أشتاق إلى رؤيتك ، فإن قال لي : بأي عمل اشتقت إليّ ؟ قلت : برحمتك يا رب »[4] .

فبيّن الرؤية والرجاء .

---

(١) حاتم الأصم وشقيق البلخي أثنى عليهما الذهبي وغيره .

(٢) الضعفاء للبرذعي وتاريخ بغداد للخطيب ٨/٢١٥ ، وتلبيس إبليس ص١٦١ .

(٣) طبقات الحنابلة ١/١٩٩ - ٢٠٠ .

(٤) الجرح والتعديل ١/٣٤٦ .

وكان أبو زرعة - رحمه الله تعالى - يجاهر برفع اليدين في الصلاة ، وينكر على أهل الرأي تركهم ذلك . فرُئِيَ بعد موته كأنه يصلي بالملائكة في السماء ، فقيل له : بم أدركت ذلك ؟! قال : برفع اليدين في الصلاة[١] .

وانظر يا أخي إلى فضل الكلام في أهل البدع وكيف يُعلي صاحبه :

قال محمد بن مسلم بن وارة وهو إمام ثقة :

« رأيت أبا زرعة في المنام ، فقلت له : ما حالك يا أبا زرعة ؟ قال : أحمد الله على أحواله كلها ، إني حضرت فوقفت بين يدي الله تعالى ، فقال : يا عبيد الله ،لم تذرعت القول في عبادي ؟ قلت : يا رب ، إنهم حاولوا دينك . قال الله : صدقت . ثم أُتي بطاهر الخلقاني ، فاستعديت عليه إلى ربي تعالى ، فضرب الحد مائةً ، ثم أُمر به إلى الحبس ، ثم قال : ألحقوا عبيد الله بأصحابه : أبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله ؛ سفيان الثوري ، ومالك ابن أنس ، وأحمد بن حنبل »[٢] .

ولقد كان - رحمه الله - شديدًا على أهل الرأي بعد أن أنقذه الله منه ... وكان شديدًا على أبي حنيفة - رحمه الله - لأنه إمام أهل الرأي .

قيل له : إن إبراهيم بن أورمة كان يُعنى بإسناد أبي حنيفة ؟! فقال أبو زرعة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عظمت مصيبتنا في إبراهيم ! يعنى به ! لأي معنى يصدقه ؟! لاتباعه ؟! لإتقانه . ثم قال : رحم الله أحمد بن حنبل ، بلغني أنه كان في قلبه غصص من أحاديث ظهرت عن المعلى بن منصور : كان يحتاج إليها ، وكان المعلى أشبه القوم (أهل الرأي) بالعلم ، وذلك أنه كان طلّابةً للعلم ورحل وعني به ، فصبر أحمد عن تلك الأحاديث ، ولم

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/٧٠١/ق .

(٢) الجرح والتعديل ١/٣٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٧٥ - ٧٦ ، ٨٤ - ٨٥ .

يسمع منه حرفًا . وأي شيءٍ يشبه المعلى من أبي حنيفة ؟! المعلى صدوق[١] .

وانظر إلى كلام أبي زرعة في محمد بن مقاتل إمام أهل الرأْي بالريّ :

« قال أبو زرعة : قال محمد بن مقاتل لَمَّا قدم الري : رأيت أسباب أبي حنيفة قد ضعفت بالعراق ، فلأنصرنه بغاية النصر . قال أبو زرعة للبرذعي : فسلط عليه منَّا ما قد علمت »[٢] .

وقال البرذعي في كتابه الضعفاء ص٥٦٩ - ٥٧٠ : « سألته (يعني أبا زرعة) عن نصر بن عليّ الجهضمي فقال : اتق الله ذاك زَفَّانٌ يجتمع بالليل مع هؤلاء المغبّرين ، يزفن ويرقص معهم . قال : فضربت على ما كتبت عنه » .

والتغبير : هو الغناء بالأشعار الزهدية والضرب على المخادّ مع ذلك الغناء ، وهذا قال فيه الشافعي : أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا الناس عن ذكر الله .

وانظر - رحمك الله - إلى هذه الحكاية التي تدل على شدة اتباع أبي زرعة ، وهي حكايته مع يحيى بن معاذ الرازي ، وكان سليم الاعتقاد يقصُّ ويعظ ، أثنى عليه الجمع الغفير من العلماء .

قال البرذعي في كتابه الضعفاء ص٥٦٥ : « شهدت أبا زرعة ، وأتاه أبو العباس الهسنجاني ، فكلمه أن يُقيل يحيى بن معاذ . فقال : إنه يقول : أنا على مذهبك ، وأنا رجل نَوَّاحٌ ، أنوح وأنوح . فقال أبو زرعة : إنما النوح لمن يدخل بيته ، ويغلق بابه ، وينوح على ذنوبه ، فأما من يخرج إلى أصبهان وفارس ، ويجول في الأمصار في النوح ، فإنا لا نقبل هذا منه . هذا من فعل المستأكلة ، الذين يطلبون الدراهم والدنانير . ولم يقبله »[٣] .

---

(١) الضعفاء للبرذعي ص٥٧٠ .

(٢) الضعفاء للبرذعي ص٧٥٥ - ٧٥٦ .

(٣) ورواه ابن الجوزي في كتاب القُصَّاص ص١٢٢ .

قال أبو حاتم الرازي :

« علامة أهل البدع : الوقيعة في أهل الأثر . وعلامة الزنادقة : تسميتهم أهل الأثر حشوية ، يريدون إبطال الآثار عن رسول الله ﷺ .

وعلامة الجهمية : تسميتهم أهل السنة مشبهةً ونابتةً .

وعلامة القدرية : أن يسموا أهل السنة : مجبرةً .

وعلامة المرجئة : تسميتهم أهل السنة : مخالفة ونقصانية .

وعلامة الرافضة : تسميتهم أهل السنة : ناصبة .

وكل هذا أم عصبات معصبات . ولا يلحق أهل السنة إلا اسمٌ واحد ، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء » .

زَيْن الأُمَّة وأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري :

قال له مسلم : أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك .

أبو عبد الله البخاري إمام أهل خراسان وسيدهم ، كتب إليه أهل بغداد :

المسلمون بخيرٍ ما بقيتَ لهم وليس بَعْدَك خيرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

قال عنه الحسين بن محمد السمرقندي : كان لا يشتغل بأمور الناس ، كل شغله كان في العلم .

كان - رحمه الله - جبلًا في الاتباع ، ومن مثله والناس كلهم محتاجون لعلمه وحديثه .

يقول رحمه الله : لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلَّا وهو في الكتاب والسنة . فقال له محمد بن أبي حاتم : يمكن معرفة ذلك كله ؟ قال : نعم .

قال محمد بن أبي حاتم : « كنت بنيسابور ، أجلس في الجامع ، فذهب عمرو بن زرارة وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبد الله والي نيسابور ، فأخبروه بمكاني ، فاعتذر إليهم وقال : مذهبنا أنه إذا رفع إلينا

غريبٌ لم نعرفه ، حبسناه حتى يظهر لنا أمره . فقال له بعضهم : بلغني أنه قال لك : لا تُحسن تصلي ، فكيف تجلس ؟ فقال : لو قيل لي شيء من هذا ، ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديثٍ في الصلاة خاصة »[١] .

هذا والله الشرف .

رحم الله البخاري ، فقد كان رأسًا في السنة والأثر ... ومن أراد سبر غور الإمام فلينظر إلى صحيح البخاري ، وخلق أفعال العباد .

« قال محمد بن العباس الفربري : أملى يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا فخاف ملالي ، فقال : طب نفسًا ، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم ، وأهل الصناعات في صناعاتهم ، والتجار في تجاراتهم ، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه »[٢] .

قال البخاري : نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس ، فما رأيت أحدًا أضل في كفرهم من الجهمية ، وإني لأستجهل من لا يكفرهم .

الإمام بَقِيّ بن مَخْلَد :

كان بقيّ أول من كثر الحديث بالأندلس ونشره ، وهاجم به شيوخ الأندلس ، فثاروا عليه لأنه كان أعلمهم بالمسائل ومذهب مالك ، وكان بقي يفتي بالأثر ، فشذ عنهم شذوذًا عظيمًا ، فعقدوا عليه الشهادات وبدعوه ، ونسبوا إليه الزندقة وأشياء نزهه الله منها . وكان بقي يقول : « لقد غرست لهم بالأندلس غرسًا لا يقلع إلا بخروج الدجال »[٣] .

قال الشاطبي في الاعتصام (٣٤٨/٢) في موقف المقلدة من بقي بن مخلد : « لقد لقي الإمام بقي بن مخلد - حين دخل الأندلس آتيًا من

---

(١) السير ٤١٢/١٢ .
(٢) السير ٤٤٥/١٢ .
(٣) السير ٢٩٠/١٣ - ٢٩١ .

المشرق - من هذا الصنف الأَمَرَّيْن ؛ حتى أصاروه مهجور الفناء ، مُهتَضَم الجانب ، لأنه من العلم بما لا يد لهم به ، إذ لقي بالمشرق الإمام أحمد ابن حنبل ، وأخذ عنه مصنفه ، وتفقه عليه ، ولقي أيضًا غيره ، حتى صنف « المسند المصنف » الذي لم يصنف في الإسلام مثله ، وكان هؤلاء المقلدة قد صمموا على مذهب مالكٍ بحيث أنكروا ما عداه ، وهذا تحكيم الرجال على الحق ، والغلو في محبة المذهب » .

فحكّموا الرجال على الشريعة ، ولم يحكموا الشريعة على الرجال .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « اغْدُ عالمًا أو متعلِّمًا ، ولا تغدُ إمّعَةً فيما بين ذلك » قال ابن وهب : فسألت سفيان عن الإمعة فقال : الإمعة في الجاهلية الذي يُدعى إلى الطعام ، فيذهب معه غيره ، وهو فيكم اليوم المُحقب[1] دينه الرجال .

وهم الذين عناهم عليّ - رضي الله عنه - حين قال لكميل بن زياد : « وهمج رعاع أتباع كلّ ناعِقٍ ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى رُكنٍ وثيق ... أُفٍّ لحامل حقٍّ لا بصيرةَ له ، ينقدح الشّكُّ في قلبه بأول عارضٍ من شبهة ، لا يدري أين الحق ، إن قال أخطأ ، وإن أخطأ لم يدر ، مشغوفٌ بما لا يدري حقيقته ، فهو فتنةٌ لمن فتن به » .

وعن علي رضي الله عنه : إياكم والاستنان بالرجال ، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيموت وهو من أهل الجنة ، فإن كنتم لا بُدَّ

---

(١) المحقب : المقلِّد التابع لغيره ، من الأحقاب وهو الأرداف وشدّ المتاع وراء ظهر الراكب .

فاعلين ، فبالأموات لا بالأحياء . وأشار إلى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام .

وفي الصحيح عن أبي وائل قال : جلست إلى شيبة في هذا المسجد قال : جلس إليَّ عمر في مجلسك هذا ، قال : هممتُ أن لا أدَعَ فيها صفراء ولا بيضاء إلّا قسمتها بين المسلمين . قلت : ما أنت بفاعلٍ . قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحباك . قال : هما المَرْءَانِ أهتدي بهما . يعني النبي ﷺ وأبا بكرٍ رضي الله عنه .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في حديث عيينة بن حصن ، حين استُؤْذِن له على عمر ، قال فيه : فلما دخل قال : يا ابن الخطاب ! والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى همّ بأن يقع فيه ، فقال له الحرُّ بن قيس : يا أمير المؤمنين ؟ إن الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ **خذ العفو وأمُرْ بالعُرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الأعراف : ١٩٩] فوالله ما جاوز عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافًا عند كتاب الله .

الإمام القُدْوَة ، شيخُ أهل السُّنَّة والجماعة في عصره : البَرْبَهارِيّ أبو محمد الحسن بن عليّ بن خَلَف :

قال أبو عبد الله الفقيه : « إذا رأيت البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار ، وأبا محمدٍ البربهاريَّ ، فاعلم أنه صاحب سنة »[١] .

وقال أبو يعلى : « شيخ الطائفة في وقته ، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع ، والمباينة لهم باليد واللسان » .

وقال ابن الجوزي : « جمع العلم ، والزهد ... وكان شديدًا على أهل البدع » .

(١) طبقات الحنابلة (٢/٥٨) .

وقال الذهبي في السير (١٥/ ٩٠ – ٩٢) : « كان قوّالًا بالحقّ ، داعية إلى الأثر ، لا يخاف في الله لومة لائم » .

وقال في العبر : « شيخ الحنابلة بالعراق ، قالا ، وحالًا ، وحلالًا ، وكان له صيتٌ عظيم وحُرْمةٌ تامَّة » .

وقال ابن كثير : « العالم الزاهد ، الفقيه الحنبلي ، الواعظ ... وكان شديدًا على **أهل البدع والمعاصي** ، وكان كبير القَدْر ، **تعظِّمه الخاصة والعامة** » .

لقد كان رحمه الله شديدًا على أهل البدع والأهواء ، منابذًا لهم باليد واللسان ، **وكان موقفه منهم يدلّ على الصرامة والشدة** ، **غيرةً منه على** السنة ، أن يحاول النيل منها كل بِدْعِيٍّ مارِق ، فموقفه يعد أُنموذجًا رائعًا لمواقف أهل السنة من أهل البدع والضلال .

قال – رحمه الله – في كتابه القيم « شرح السنة » : « اعلموا أن الإسلام هو السنة ، والسنة هي الإسلام ، ولا يقوم أحدهما إلَّا بالآخر » .

وقال : واعلم – رحمك الله – أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى ، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم ، وعلمه عند الله وعند رسوله ، فلا تتبع شيئًا بهواك ، فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام ، فإنه لا حجة لك ، فقد بين رسول الله ﷺ لأُمَّته السنة ، وأوضحها لأصحابه ، وهم السواد الأعظم ، والسواد الأعظم : الحق وأهله .

واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعةً قطُّ حتى تركوا من السنة مثلها ، فاحذر المُحدَثات من الأمور ، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلّ بدعةٍ ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار .

واحذر صغار المحدثات من الأمور ، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا ، وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة ، كان أولها صغيرًا

يُشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع الخروج منها ، فعظمت وصارت دينًا يدان بها ، فخالف الصراط المستقيم ؛ فخرج من الإسلام .

وقال : انظر - رحمك الله - كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصّةً ، فلا تعجلن ، ولا تدخلن في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ ، أو أحدٌ من العلماء ؟ فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشيءٍ ولا تَخْتَرْ عليه شيئًا فتسقط في النار .

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين ؛ أمّا أحدهما : فرجلٌ قد زلّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير ، فلا يُقتدى بزلته ؛ فإنه هالك . وآخر عاند الحق ، وخالف من كان قبله من المتقين ، فهو ضالٌّ مضلٌّ ، شيطانٌ مريد في هذه الأُمة ، حقيقٌ على من يعرفه أن يحذر الناس منه ، ويبين للناس قصته ، لئلا يقع أحدٌ في بدعته فيهلك .

واعلم - رحمك الله - أنه لا يتم إسلامُ عبدٍ ، حتى يكون مُتَّبِعًا مُصدِّقًا مسلمًا ، فمن زعم أنه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام ، لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ ، فقد كذّبهم ، وكفى به فُرقةً وطَعْنًا عليهم ، وهو مبتدعٌ ضالّ ، محدِثٌ في الإسلام ما ليس فيه .

واعلم - رحمك الله - أنه ليس في السنة قياس ، ولا يضرب لها الأمثال ، ولا تتبع فيها الأهواء ، وإنما هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيفٍ ، ولا شرحٍ ، لا يقال : لم ؟ وكيف ؟

والكلام والخصومة والجدال والمراء : محدَث ، يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة .

واعلم - رحمك الله - أن الكلام في الرب تعالى محدثٌ ، وهو

بدعة ضلالة ، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن ، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه .

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها ، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ ، فاتّهِمه على الإسلام ؛ فإنه رجلٌ رديء القول والمذهب ، وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه لأنه إنما عرفْنا الله ، وعرفنا رسول الله ﷺ ، وعرفنا القرآن ، وعرفنا الخير والشر ، والدنيا والآخرة ، بالآثار .

واعلم - رحمك الله - أنه ما كانت زندقة قطُّ ولا كفر ، ولا شك ، ولا بدعة ولا ضلالة ، ولا حيرة في الدين ؛ إلَّا من الكلام ، وأهل الكلام ، والجدل والمراء والخصومة . والعجب كيف يجترىء الرجل على المراء والخصومة والجدال ، والله تعالى يقول : ﴿ **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا** ﴾ [غافر : ٤]. فعليك بالتسليم والرضا بالآثار وأهل الآثار ، والكف والسكوت .

واعلم أنه لم تجيء بدعةٌ قط إلّا من الهمج الرعاع ، أتباع كل ناعقٍ ، يميلون مع كلِّ ريحٍ ، فمن كان هكذا ، فلا دين له ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم** ﴾. [الجاثية : ١٧]، وقال تعالى : ﴿ **وما اختلف فيه إلّا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البَينات بغيًا بينهم** ﴾ [البقرة : ٢١٣] . وهم علماء السوء وأصحاب الطمع والبدع .

واعلم أنه لا يزال الناس في عصابةٍ من أهل الحقّ والسنة ، يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ، ويحيي بهم السنن ، فهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف ﴿ **وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم** ﴾ فاستثناهم فقال : ﴿ **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال عصابةٌ من أُمتي ظاهرين على

الحق ، لا يضرُّهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون » .

واعلم - رحمك الله - أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ، إنما العالم من اتبع العلم والسنن ، وإن كان قليل العلم والكتب ، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعةٍ ، وإن كان كثير العلم والكتب .

واعلم - رحمك الله - أنّ من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله ، من غير حُجَّةٍ من السنة والجماعة ، فقد قال على الله ما لا يعلم ، ومن قال على الله ما لا يعلم ، فهو من المتكلفين .

ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة ،فَلَجَ[1] على أهل البدع كلهم ، واستراح بدنه ، وسلم له دينه ، إن شاء الله .

ومن عرَف ما ترك أصحاب البدع من السنة ، وما فارقوا فيه ، فتمسك به ، فهو صاحب سُنّةٍ وصاحب جماعةٍ ، وحقيقٌ أن يُتَّبع وأن يُعان وأن يُحفظ ، وهو ممّن أوصى به رسول الله ﷺ .

وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام .

وكل علمٍ ادَّعاه العباد من علم الباطن ، لم يوجد في الكتاب وفي السنة ، فهو بدعةٌ وضلالة ، ولا ينبغي لأحد أن يعمل له ولا يدعو إليه .

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، أو يردّ الآثار ، أو يريد غير الآثار ، فاتَّهِمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوًى مبتدِع .

وإذا رأيت الرجل جالسًا مع رجلٍ من أهل الأهواء ، فحذِّره وعرِّفه ، فإن جلس معه بعدما علم فاتّقه ، فإنه صاحب هوى .

وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر ، فلا يريده ، ويريد القرآن ، **فلا شك** أنه رجل قد احتوى على الزندقة .

---

(١) أي ظفر وفاز .

واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب محمد ﷺ ، فاعلم أنه إنما أراد محمدًا ﷺ وقد آذاه في قبره .

وإذا ظهر لك من إنسانٍ شيءٌ من البدع ، فاحذره ، فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر .

رأى يونس بن عبيد ابنه ، وقد خرج من عند صاحب هوًى ، فقال : يا بني،من أين جئت ؟ قال : من عند فلان . قال : يا بني ، لَأَنْ أراك خرجت من بيت خُنثى ، أحبّ إليَّ من أن أراك تخرج من بيت فلان وفلان ، ولأن تلقى الله يا بُنَيّ زانيًا فاسقًا سارقًا خائنًا ، أحبّ إليَّ من أن تلقاه بقولِ فلانٍ وفلان .

ألا ترى أن يونس بن عبيدٍ قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه ، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفر .

ولا تطلب من عندك حيلةً تردّ بها على أهل البدع ، فإنك أُمرت بالسكوت عنهم ، ولا تمكنهم من نفسك ، أما علمت أن محمد بن سيرين - في فضله - لم يجب رجلًا من أهل البدع في مسألةٍ واحدةٍ ، ولا سمع منه آيةً من كتاب الله عز وجل ، فقيل له ، فقال : أخاف أن يحرفها ، فيقع في قلبي شيء .

وقال : قال بشر بن الحارث : الإسلام هو السنة ، والسنة هي الإسلام .

وقال الفضيل : إذا رأيت رجلًا من أهل السنة ، فكأنما أرى رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإذا رأيت رجلًا من أهل البدع ، فكأنما أرى رجلًا من المنافقين .

وكان ابن عون يقول عند الموت : « السُّنَّة السنة ، وإياكم والبدع » . حتى مات .

وقال أحمد بن حنبل : مات رجل من أصحابي ، فرُئِيَ في المنام فقال : قولوا لأبي عبد الله : عليك بالسنة ، فإنه أول ما سألني الله ، سألني عن السنة .

وقال أبو العالية : من مات على السنة مستورًا ، فهو صدِّيق .

وقال الفضيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعةٍ في طريق ، فجُزْ في طريقٍ غيره .

وقال : من عظّم صاحب بدعةٍ ، فقد أعان على هدْم الإسلام ، ومن تبسّم في وجه مبتدعٍ ، فقد استخفّ بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ ، ومن زوّج كريمته من مبتدِعٍ ، فقد قطع رحمها ، ومن تبع جنازة مبتدِعٍ ، لم يزل في سخط الله حتى يرجع .

وقال فضيل بن عياض : إذا علم الله من الرجل أنه مُبغضٌ لصاحبِ بدعةٍ ، غفر له وإن قلَّ علمُه ، ولا يكون صاحب سُنةٍ يُمالىء صاحبَ بدعةٍ إلا نفاقًا ، ومن أعرض بوجهٍ عن صاحب بدعةٍ ، ملأ الله قلبه إيمانًا ، ومن انْتَهَرَ صاحب بدعة ، آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة ، رفعه الله في الجنة مائة درجةٍ ، فلا تكن صاحب بدعةٍ في الله أبدًا[(١)] .

وقال البربهاري : « مثل أصحاب البدع مثل العقارب ، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب ، ويُخرجون أذنابهم ، فإذا تمكّنوا لدغوا ، وكذلك أهل البدع ، هم مختفون بين الناس ، فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون »[(٢)].

---

(١) شرح السنة للبربهاري ، تحقيق : خالد بن قاسم الردادي . طبع مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة .

(٢) طبقات الحنابلة ٢/٤٤ .

ما فتئ أهل الأهواء والبدع المُعادُون له يُؤلِّبون السلطان ، ويغيظون قلبه عليه ، حتى أمر الخليفة القاهر وزيره ابن مقلة في سنة ٣٢١ بالقبض على البربهاري وأصحابه ، فاستتر البربهاريُّ ، وقُبض على جماعةٍ من كبار أصحابه ، وحُملوا إلى البصرة ، وعاقب الله ابن مقلة على فعله هذا ، بأن أسخط القاهر عليه ، وعزل عن الوزارة ، وطرح في داره النار ، وحُبس وخلع وسملت عيناه .

ثم تفضل الله وأعاد البربهاريّ إلى حشمته .

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة ازدادت حشمة البربهاري ، وعلت كلمته ، وظهر أصحابه ، وانتشروا في الإنكار على المبتدعة ، حتى إن البربهاري لما اجتاز بالجانب الغربي ، فعطس ، فشمته أصحابه ، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو في روشنه ، فسأل عن الحال ، فأُخبر بها ، فاستهولها . ولم تزل المبتدعة يثقلون قلب الراضي على البربهاري ، حتى نودي : أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان ، فاستتر البربهاري رحمه الله .

قال ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص٦١٨ - ٦١٩) عن البربهاري : « جمع بين العلم والزهد ، وصحب المروذي ، وسهلًا التستري ، وكان البربهاري شديدًا على أهل البدع ، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه ، وكان ينزل بباب محول ، فانتقل إلى الجانب الشرقي ، واستتر عند أخت توزون[1] ، فبقي نحوًا من شهر ، ثم أخذه قيام الدَّم ، فمات ، فقالت المرأة لخادمها : انظر من يغسله . وأغلقت الأبواب حتى لا يعلم أحدٌ ، فجاء الغاسل فغسله ، ووقف يصلي عليه وحده ، فاطلعت -

(١) أحد القُوّاد الأتراك ، خلع عليه المُتَّقي ، وجَعَلَه أمير الأمراء . أخباره في الكامل ٣٣٩/٨ .

من الروشن - فإذا الدار ممتلئة رجالًا بثيابٍ بيضٍ وخُضرٍ ، فاستدعت الخادم وقالت : ما الذي فعلت ؟ فقال : يا سيدتي ، رأيت ما رأيت ؟ قالت : نعم . قال : هذه مفاتيح الباب ، وهو مغلق . فقالت : ادفنوه في بيتي ، وإذا متُّ فادفنوني معه . فدفنوه في دارها ، وماتت بعده فدفنت هناك .

قال ابن الزاغوني : كشف قبر أبي محمدٍ البربهاريِّ ؛ وهو صحيحٌ لم يرم ، وظهر من قبره روائح الطيب حتى ملأت مدينة السلام »[١] .

ولا تعجب يا أخي ، فهاك كلام الإمام أحمد إمام أهل السنة :

« قبور أهل السنة من الفساق روضةٌ من رياض الجنة ، وقبور أهل البدع من الزُّهّاد حفرة من حفر النار »[٢] .

فكيف بأئمة أهل السنة ممن لهم القدم العالي في الاتباع ، وحمل الناس عليه ، كالبربهاري .

شيخُ الإسلام ابنُ تيميَة :

حاملُ رايةِ الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وإرجاع الإسلام إلى منابعه الصحيحة في القرن السابع الهجري .

نصَر السُّنَّة بأوضح حُجَجٍ وأبهر براهين ، وأُوذِيَ في ذات الله من المخالفين ، وأُخِيفَ وسجن في نصر السنة المحمدية ، حتى أعلى الله مناره .

قال الحافظ ابن سيد الناس عنه : « كان يستوعب السنن والآثار حفظًا » .

وقال ابن الزملكاني عنه : « ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص٦١٨ - ٦١٩ ، السير ١٥/٩٠ - ٩٢ .

(٢) مناقب الإمام أحمد ص٢٣٩ .

المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقةً » .

وقال الحافظ المزي : « ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه »[(١)].

دعا شيخ الإسلام إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة في عقائد الدين وأصوله وفروعه .

قال رحمه الله : « وليعلم أنه ليس لأحدٍ من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولًا عامًّا ، يعتمد مخالفة رسول الله ﷺ بشيءٍ من سنته ، لا دقيق ولا جليل ؛ فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، وعلى أن كلّ أحدٍ من الناس يؤْخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ » .

وقال : « وليس لأحدٍ أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقول أحدٍ من الناس ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لرجلٍ سأله عن مسألةٍ ، فأجابه فيها بحديثٍ ، فقال له : قال أبو بكر وعمر ، فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حِجَارةٌ من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر » .

وقال رحمه الله : « قد ذم الله في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نَشَأَ عليه من دين آبائه ، وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله ، وهو أن يتبع غير الرسولِ فيما خالفَ فيه الرسولَ . وهذا حرامٌ باتفاق المسلمين على كل أحدٍ ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والرسول طاعتُهُ فرض على كل أحدٍ من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان ، في سرِّه وعلانيته وفي جميع أحواله » .

---

(١) الرَّدُّ الوافر ص١٢٩ .

وقال رحمه الله : « قد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريبٍ من الأربعين موضعًا من القرآن ، وطاعته طاعة الله » .

وقال : « التقليد المحرم بالنص والإجماع ، أن يعارض قول الله ورسوله بما يخالف ذلك ، كائنًا من كان المخالف لذلك » .

وقال : « إن الله سبحانه لما ذكر حال من يقول على الله بلا علْمٍ بل تقليد السلف ، ذكر حال من يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، فقال : ﴿ **إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ [البقرة : ١٨٤] فهذا حال من كتم علم الرسول ، وذلك حال من عدل عنها إلى خلافها ، والعادل عنها إلى خلافها يدخل فيه من قلد أحدًا من الأولين والآخرين فيما يعلم أنه خلاف قول الرسول ﷺ ، سواءً كان صاحبًا أو تابعًا أو أحد الفقهاء أو غيرهم . ومن ادعى إجماعًا يخالف نصَّ الرسول،من غير نصٍّ يكون موافقًا لما يدعيه ، واعتقد جواز مخالفة أهل الإجماع للرسول برأيهم ، وأن الإجماع ينسخ النص - كما تقوله طائفةٌ من أهل الكلام والرأي - فهذا من جنس هؤلاء » .

وقال رحمه الله : « وكثير من الفقهاء المتأخرين ، أو أكثرهم يقولون : إنهم عاجزون عن تلقي جميع الأحكام الشرعية من جهة الرسول ، فيجعلون نصوص أئمتهم بمنزلة نص الرسول ، ويقلدونهم . ولا ريب أن كثيرًا من الناس يحتاج إلى تقليد العلماء في الأمور العارضة التي لا يستقل هو بمعرفتها . ومن سالكي طريق الإرادة والعبادة والفقر والتصوف من يجعل شيخه كذلك ، بل قد يجعله كالمعصوم !! ولا يتلقى سلوكه إلا عنه ، ولا يتلقى عن الرسول سلوكه ، مع أن تلقي السلوك عن الرسول أسهل من تلقي

الفروع المُتنازَع فيها ، فإن السلوك هو الطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق ، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة ؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه ، ولهذا جميع الصحابة يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة والتبليغ عن الرسول ، ولا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة ... » إلى أن قال : « ولكن كثيرًا من أهل العبادة والزهادة أعرض عن طلب العلم النبوي الذي يعرف به طريق الله ورسوله ، فاحتاج لذلك إلى تقليد شيخٍ ، وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين ، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد ، كلها منصوصة في الكتاب والسنة ؛ وإنما اختلف أهل الكلام لمّا أعرضوا عن الكتاب والسنة ، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف ، وهكذا طريق العبادة ،عامّةُ ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع ، فيقعون في البدع ، فيقع فيهم الخلاف ، وهكذا الفقه إنما وقع فيه الاختلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع » .

محاربته للبدع والعقائد المخالفة للكتاب والسنة :

يقول ابن تيمية في الحموية : « من المحال أن يكون الرسول ﷺ قد علم أمته كل شيءٍ حتى الخراءة ، وقال : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » . وقال فيما صح عنه أيضًا : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » .

وقال أبو ذرٍّ : لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله ﷺ

مَقَامًا ، فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه » رواه البخاري .

مُحالٌ مع هذا ، ومع تعليمهم كل شيءٍ لهم فيه منفعةٌ في الدين ، وإن دق - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم ، رب العالمين » .

وقال: «إن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة- ومن حذا حذوهم - على طريق السلف ، إنما أتوا من حيث إن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك ، بمنزلة الأُميين الذين قال الله فيهم : ﴿ **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني** ﴾ »[١].

يقول أبو حفص البزار تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية عن محاربته للبدع : « وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم ، وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، وإظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم ، وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية ، بما منحه الله تعالى من البصائر الرحمانية ، والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية ، حتى انكشف قناع الحق ، وبان فيما جمعه في ذلك وألفه : الكذبُ من الصدق ، حتى لو أن أصحابها أحياء ووفِّقوا لغير الشقاء ، لأذعنوا له بالتصديق ودخلوا في الدين العتيق » .

وقال ابن فضل الله العمري : « أخمل من القرناء كل عظم ، وأخمد من أهل البدع كل حديثٍ وقديم ، ولم يكن فيهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم ، ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم »[٢].

---

(١) العقود الدرية ص٧٦ .

(٢) الرد الوافر ص٩٦ .

لقد تصدى ابن تيمية للفرق المنحرفة عن الكتاب والسنة القائمة في عصره :

فدحض مناهج الفلاسفة والمتكلمين ، وبين أنهم أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلهية .

ورد على الأشاعرة وتأويلهم ، وكان لهم منه أوفر نصيبٍ ، ورد على القدرية والشيعة ، وأفحم النصارى في كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » .

وهاجم ضلال الصوفية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود ... رد على ابن الفارض وابن عربي والعفيف التلمساني والصدر القونوي وابن سبعين ، وألف « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » .

وتصدى للأحمدية والرفاعية .

وقام شيخ الإسلام بتحدي هؤلاء الصوفية ، الذين يزعمون الدخول في النيران ، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام ، وحملهم الحيات والثعابين ، وغيرها من أنواع المخاريق .

• تحداهم أنه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولهم فيها ، وأنها تحرقهم إن شاء الله ، ولا تحرقه ، شريطة أن يغسلوا أنفسهم أوّلًا بالخلّ ، وذلك لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسهم حتى لا تؤثر فيهم النار ، فلما كشف حيلهم وتحداهم ، وكان ذلك بمحضر السلطان ، تراجعوا من ذلك ، وظهر كذبهم ومخاريقهم .

وقد كان للشيخ استقلاله في أخذ الفقه من الكتاب والسنة .. واختار ما ترجح بالكتاب والسنة ، وجهر به ، من دون أن يبالي بالذي قال خلافه من الأئمة السابقين ، فهو تابع للدليل ، يدور معه حيث دار .

يقول تلميذه أبو حفص البزار : « كان لا يذكر رسول الله ﷺ إلّا

ويصلي ويسلم ، ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله ﷺ ، ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألةٍ ، ويرى أنه لم ينسخه شيءٌ غيره من حديثٍ ، يعمل به ويقضي بمقتضاه ، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين ، كائنًا من كان . وقال رضي الله عنه : « كلُّ قائلٍ إنما يحتج لقوله ، لا به ، إلا الله ورسوله »[1] .

وقال ابن الوردي : « له باعٌ طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، قل أن يتكلم في مسالةٍ إلّا ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة » . ثم قال : « وبقي سنين لا يفتي بمذهبٍ معين ، بل بما قام الدليل عليه عنده . ولقد نصر السنة المحضة واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها »[2] .

وقبل أن نذكر طيب قول الشيخ عماد الدين الواسطي في شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، نذكر ما قاله ابن كثير ، من أن الواسطي كان في أول الأمر من الفقهاء المتكلمين ، وكان يغلب عليه الجدل والكلام والرأي ، فلما انتقل من مصر إلى بغداد ، والتقى بأهلها وعلمائها ، وتوسعت مداركه وحاسب نفسه ، وجدها فارغة من الطمأنينة ، فترك سبيل الفقهاء والمتكلمين ، واتجه إلى التصوف واقترب من المتصوفة ، فلما رأى ما رأى عندهم من الغرائب ، تكدر طبعه ، وقرر السفر إلى دمشق ، وحضر مجلس شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكان الدرس الأول عن المتكلمين والفلاسفة وعن فقدهم طمأنينة القلب ، وأن مشاهيرهم اعترفوا بهذا ، وشهدوا على أنفسهم بالاضطراب

---

(١) الأعلام العلية ص٢٩ .

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢/٤٠٦ ، ٤١٣ .

والحيرة اللذين سببهما الكلام والفلاسفة .

يقول الشيخ عماد الدين ما معناه : إن شيخ الإسلام استمر في كلامه ، وأوضح أن الدواء الناجع لأمراض القلب ، والسبيل الوحيد لنيل طُمأنينته ، هو التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانقشع الظلام ، وزالت الحيرة ووجدت نور الحقيقة الذي كنت حيران من أجله . قال : فلما اطلع شيخ الإسلام على أحوالي ، أوصاني بقراءة السيرة النبوية ؛ فإنها الوصفة الكافية الشافية من جميع أمراض القلوب .

ولقد كتب الشيخ عماد الدين الواسطي في الثناء على ابن تيمية – ووصى تلامذته به – رسالةً سمَّاها « التذكرة والاعتبار ، والانتصار للأبرار » وسمى فيها بعض تلامذة ابن تيمية : عمر بن عبد الله بن شقير ، ومحمد ابن عبد الأحد ، ومحمد بن المنجى ، ومحمد بن محمد بن الصائغ ؛ وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام ، الأُمَّة الهمام ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفائق عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلى قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأُمَّة حذوهم وسبلهم ، فذكرهم بها الشيخ ؛ فكان في دارس نهجهم سالكًا ، ولموات حذوهم محييا . ولأعنة قواعدهم مالكا : الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، أعاد الله علينا بركته ، ورفع إلى مدارج العُلى درجته ، وأدام توفيق السادة المبدوّ بذكرهم وتسديدهم ، وأجزل لهم حظهم ، ومزيدهم .

السلام عليكم – معشر الإخوان – ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نوائب الحق جأشه ، واحتسب لله ما بذله من

نفسه في إقامة دينه ، وما احْتَوَشَتْه من ذلك وحاشة ، واحتذى حذو السبق الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم .

ويوصي إخوانه من تلامذة الشيخ بالمواظبة على الاتباع ونبذ الابتداع ، ويثني عليهم بدعوتهم ودعوة شيخهم ابن تيمية إلى السنة فيقول :

« وبعد ذلك الحظوة في هذه الدار بلقاء رسول الله ﷺ ، غيبًا في غيب ، وسرًّا في سر ، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها . فتبقى البصيرة شاخصةً إليه ، تراه عيانًا في الغيب ، كأنها معه ﷺ ، وفي أيامه . فيجاهد على دينه ، ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته .

واعلموا - أيّدكم الله - أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود . لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال الناس ، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية . فأنتم - إن شاء الله تعالى - في حق هذه الأُمّة الأُولى ، كما قال تعالى : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس تأمُرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكرِ وتؤمنون بالله** ﴾ . [آل عمران : ١١٠] وكما قال تعالى : ﴿ **الذينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأرض أقاموا الصَّلاة وَآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُوا بالْمَعْرُوفِ وَنَهوا عن المنكر ولله عاقبة الأُمور** ﴾. [الحج : ٤١] .

أصبحتم إخواني تحت سَنْجقِ[1] رسول الله ﷺ ، إن شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضي الله عنه . قد تميزتم عن جميع أهل الأرض - فقهائها وفقرائها ، وصوفيتها ، وعوامّها - بالدين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث ، في الفقهاء والفقراء

---

(١) أي تحت لوائه ورايته .

والصوفية والعوام . فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء ، نصرتم الله ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين الله ، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله .

وأنتم أيضًا في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة ، فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أُصُوله من الكتاب والسنة ، واتخاذ أقوال الأئمة ، تأسِّيًا بهم ، لا تقليدًا لهم .

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء والتصدية ، ومؤاخاة النساء والصبيان ، والإعراض عن دين الله إلى خرافاتٍ مكذوبة عن مشايخهم ، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخَطَآئها ، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء . فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف - أيضًا - كما تجاهدون من سبق . حفظتم من دين الله ما أضاعوه ، وعرفتم ما جهلوه ، تقومون من الدين ما عوجوه ، وتصلحون منه ما أفسدوه .

وأنتم أيضًا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء ، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنع باللباس، والإطراق والسجادة؛ لنيل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار ، والأكمام الواسعة في حضرة الدرس ، وتنميق الكلام ، والعدو بين يدي المدرس راكعين ، حفظًا للمناصب ، واستجلابًا للرزق والإدرار .

فخلط هؤلاء في عبادة الله غيره ، وتألهوا سواه ، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون . يجتمعون لغير الله ، بل للمعلوم ، ويلبسون للمعلوم ، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم ، فضيعوا كثيرًا من دين الله وأماتوه . وحفظتم أنتم ما ضيعوه ، وقوّمتم ما عوجوه .

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات؛ كاليونسية، والعربية، والصدرية، والسبعينية ، والتلمسانية ، فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه ، وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ .

فاليونسية يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهرًا للحق ، ويستهينون بالعبادات ، ويظهرون بالفرعنة والصولة ، والسفاهة والمحالات ، لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس ، ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل ، يؤمنون به بألسنتهم ، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية ، يجعلون الوجود مظهرًا للحق ، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه ، ولا ناطق في الأشخاص غيره . وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر ، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله ، فينطق على لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي ، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية : فمن العابد ومن المعبود ؟ صار الكل واحدًا .

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزَّوايا .

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضًا ، تنصرون الله ورسوله ، وتذبون عن دينه ، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا ، وعلى تقويم ما عوجوا ، فإن هؤلاء محوا رسم الدين ، وقلعوا أثره . فلا يقال : أفسدوا ولا عوجوا ، بل بالغوا في هدم الدين ومحوا أثره ، ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للخاصّ والعامّ . وكذلك جهاد كل من ألحد في دين الله ، وزاغ عن حدوده وشريعته ، كائنًا في ذلك ما كان من فتنةٍ وقول ، كما قيل :

إذا رَضي الحبيبُ فلا أُبالي ... أقام الحيُّ أم جَدَّ الرَّحيلُ

وبالله المستعان .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد ، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات ، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله ، بما أمكن ، وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ ، لأن اليوم له سبعمائة سنة ، فأنتم بحمد الله تجدِّدون ما دَثَرَ من ذلك ودُثر .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون في وجوه العامة ، ممّا أحدثوا من تعظيم الميلادة، والقَلَنْدس، وخميس البيض، والشَّعانين ، وتقبيل القبور والأحجار ، والتوسل عندها . ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية ، وإنما بُعث رسول الله ﷺ ليُوحَّد الله ويعبد وحده ، ولا يُؤَلَّه معه شيء من مخلوقاته . بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد . فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك .

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء ، أهل الكيد والضرار لأولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة ، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى ، واليهود ، والرافضة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وأصناف أهل البدع والضلالات ؛ لأن الناس متفقون على ذمهم . يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم ، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون ، بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء ، فلا يجاهدون وتأخذهم في الله اللائمة ؛ لحفظ مناصبهم ، وإبقاء على أعراضهم .

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء - حق القيام - سواكم ، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء - إن شاء الله - بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا - أيده الله - حق القيام ، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك .

ثم اعرفوا إخواني حقَّ ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك . واعرفوا طريقكم إلى ذلك ، واشكروا الله تعالى عليها . وهو أن أقام لكم ولنا - في هذا العصر - مثل سيدنا الشيخ ، الذي فتح الله به أقفال القلوب ، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات ، حيث تاه العقل بين هذه الفرق ، ولم يهتدِ إلى حقيقة دين الرسول ﷺ .

ومن العجب أن كُلًّا منهم يدعي أنه على دين الرسول ، حتى كشف الله لنا ولكم - بواسطة هذا الرجل - عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده .

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق ، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام ، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا .

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبعمائة من الهجرة ، مَنْ بيَّن لكم أعلام دينكم ، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته ، وبين لكم بهذا النور المحمدي ، ضلالات العباد وانحرافاتهم ، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم ، والصحيح من السقيم . وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة ، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وهم بالشأم إن شاء الله تعالى .

ثم إذا علمتم ذلك ، فاعرفوا حق هذا الرجل - الذي هو بين أظهركم - وقدره ، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره ، فمن وقع دين الرسول ﷺ من قبله بموقعٍ يستحقه ، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد الله ، يقوم معوجهم ، ويصلح فسادهم ، ويلمّ شعثهم ، جهد إمكانه ، في الزمان المظلم ، الذي انحرف فيه الدين ، وجهلت السنن ، وعهدت البدع ، وصار المعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا ، والقابض على دينه ، كالقابض على الجمر ، فإن أجر

من قام بإظهار هذا النور - في هذه الظلمات - لا يوصف ، وخطره لا يعرف . هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعي الظاهر ، فهنا قوم عرفوه من حيثيةٍ أخرى من الأمر الباطن . ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، وعظمة ذاته ، واتصال قلبه بأشعة أنوارها ، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها ، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشهادة إلى الغيب ، ومن الغيب إلى الشهادة ، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر ، وغير ذلك مما لا يمكن شرحُه في كتاب .

فشيخكم - أيّدكم الله تعالى - عارفٌ بذلك ، عارف بأحكام الله الشرعية ، عارف بأحكامه القدرية ، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية ، ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ **الله الذي خلق سبْع سموات ومن الأرض مِثلهُنَّ يَتنزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لتعْلَمُوا أنَّ الله على كل شيءٍ قدير وأنَّ الله قد أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلْمًا** ﴾ . [الطلاق : ١٢] .

فالناس يحسون بما يجري في عالم الشهادة ، وهؤلاء بصائرهم شاخِصةٌ إلى الغيب ، ينتظرون ما تجري به الأقدار ، يشعرون بها أحيانًا عند تنزلها . فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق ؛ واشتغال أوقاتهم بهم ، فإنهم كما حكي عن الجنيد - رحمه الله - أنه قيل له : « كم تنادي على الله تعالى بين الخلق ؟ فقال : أنا أنادي على الخلق بين يدي الله » .

فالله الله في حفظ الأدب معه ، والانفعال لأوامره ، وحفظ حرماته في الغيب والشهادة ، وحب من أحبه ، ومجانبة مَنْ أبغضه وتنقَّصه ، ورَدِّ غيبته ، والانتصار له في الحق .

واعلموا - رحمكم الله - أن هنا من سافر إلى الأقاليم ، وعرف الناس وأذواقهم ، وأشرف على غالب أحوالهم ، فوالله ، ثم والله ، ثم والله ، لم ير تحت أديمِ السماء مثل شيخكم : علمًا ، وعملًا ، وحالًا ، وخلقًا ،

واتباعًا ، وكرمًا وحلمًا ؛ في حق نفسه ، وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته . أصدق الناس عقدًا ، وأصحهم علمًا وعزمًا ، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همَّةً ، وأسخاهم كفًّا ، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمدٍ ﷺ .

ما رأينا - في عصرنا هذا - من تُستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلّا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح ، أن هذا هو الاتباع حقيقةً .

وتكلم عمن يطعن في الشيخ ابن تيمية :

يا سبحان الله العظيم ، أين عقول هؤلاء ؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم ؟! أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم ، الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا ؟! وقد بقيت هذه الخطة الضيقة ، يشم المؤمنون فيها رائحة الإسلام ، وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدعاة إلى الباطل وإقامته ، ودحض الحق وأهله ، ما لا يحصر في كتاب . ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجلٍ قوي الهمة ، ضعيف التركيب ، قد فرق نفسه وهمه في مصالح العالم ، وإصلاح فسادهم ، والقيام بمهماتهم ، وحوائجهم ، ضمن ما هو قائم بصدد البدع والضلالات ، وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه ، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق ؟!

فهو مع هذا كله قائمٌ بجملة ذلك وحده ، وهو منفردٌ بين أهل زمانه ، قليلٌ ناصره ، كثيرٌ خاذله ، وحاسده ، والشامت فيه !!

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في جمعه لعقيدة السلف الصالح :
« ما جمعت إلّا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للإمام أحمد اختصاصٌ

بهذا . والإمام أحمد إنما هو مبلّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول ﷺ ، لم نقبله . وهذه عقيدة محمدٍ ﷺ » .

وقال أيضًا : « الإمام أحمد رضي الله عنه ، لمَّا انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره ، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره ، كان كلامه وعمله في هذا الباب أكثر من غيره ، فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره ، وإلّا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء ، قال : المذهب لمالكٍ والشافعي ، والظهور لأحمد بن حنبل . يعني أن الذي كان عليه أحمد ، عليه جميع أئمة الإسلام ، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ، ما ليس لبعضٍ » .

ولله درّ شيخ الإسلام ابن تيمية ، العلم في الاتباع ، حين يدافع عن عقيدته ؛ عقيدة السلف : « قلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيءٍ منها ثلاث سنين ، فإن جاء بحرفٍ واحد عن القرون الثلاثة ، التي أثنى عليها النبي ﷺ - حيث قال : « خير الناس القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » - يخالف ما ذكرته ، فأنا راجعٌ عن ذلك . وعليَّ أن آتي بنقولٍ جميع الطوائف من القرون الثلاثة توافق ما ذكرته » .

وما ذاك إلّا أنه لنبيِّه نبيّ الهُدى في كل شيءٍ متابعُ

ويقول آخر :

منه حُبُّ الكتابِ والسُّنّة الـ ـمُثْلَى جرى في عُرُوقه والعظامِ

ويقول الشيخ المتيم عبد الله بن خضر الرومي تلميذ شيخ الإسلام ، في الثناء على شيخه ابن تيمية ورثائه :

ملأتُ النواحي من نُواحي ، وكيفْ لا أنوح على قومٍ هُم خير جيرتي

ومن عجبٍ أني أحِنُّ إليهـمُ وقد سكنوا قلبي وروحي ومهجتي
ذكرتُ فلم أنس زمان وصالهم أأنسى ليالٍ بالعُذَيْب تقضَّتِ
منازلُ أحبابي مواطن سادتي مطالع أقماري شروق أهلَّتي
معاهد أفراحي ديار سعادتي مواسم أرباحي أُويقات لَذَّتي
وحاشايَ أن أسْلُو هواهم وحُبَّهم يُذَكّرني حِفْظ العهود القديمةِ
فهم سرُّ أسراري ونور مناظري ورُوحي وريحاني وأُنسي وبهجتي
وهم عينُ أعياني وقلبي وقالبي وهم منتهى قصدي ومشهد رؤيتي
وهم في معانيهم حياتي حقيقةً وهم في مغانيهم أُهَيْلُ مودّتي
وهم في تجلِّيهم شموسٌ إذا بَدَوْا وهم في تجنِّيهم رياضي ونزهتي
وهم أينما كانوا نهاية مقصدي وهـم أينما حلُّوا مرادي وبُغيتي
وقد آن أنْ أُبدي خفايا صبابتي وأُظهر للعُذّال أصل رَزِيَّتي
وأبكي على مَن كان يجمعُ شملنا على طاعة الرحمن في كلِّ لمحةِ
وأندب أحزاني بما قد أصابني وأنثُر أشجاني بنظْم قصيدتي
فقدتُ إمامًا كان أوْحَدَ عصرِهِ وقد فُجعتْ فيه جميعُ البَرِيّةِ
فقدتُ إمامًا لم يَزَلْ متوكِّلًا على الله لا يُصغي إلى غير سُنَّةِ
فقدتُ إمامًا كان بالعلم عاملًا وكان حقيقًا قامعًا كلَّ بدعةِ
أتى بكتاب الله والسُّنّة التي علَتْ وارتقتْ حقًّا على كلِّ ملَّةِ
أتى بأحاديث الرسول وشرحها وعمّنْ رواها بالمتون الصحيحةِ
أتانا بأحوال الرسول حقيقة وسيرته تسمو على كل سيرةِ
أتانا بأحوال الصحابة كلِّهم والتَّابعين المِلَّة المستقيمةِ
أتانا بوصف الصالحين وحالهم وما هم عليه من جميل العقيدةِ
وعلَّمنا شرعَ الرسول ودينَهُ بأفصح ألفاظٍ وأصدق لهجةِ
وأعْلَمَنا أن النجاة من الهوى تمسُّكنا بالسُّنّة النّبويّةِ

وحذّرنا من كل زيغٍ وبدعةٍ وعن كل طاغٍ خارجٍ عن مَحَجَّةِ
وناظَرَ أربابَ العقائد كلّهم وبيّن مَنْ قد ضلَّ من كلِّ فرقةِ
وردَّ علىَ أهل الضلال جميعهم بأوضح برهانٍ وأبْلَغِ حُجّةِ
وبيّن تكذيب اليهود وخُبْثهم وما بدّلوا في الملَّةِ المُوسويَّةِ
وأخبرهم عن سرِّ أسباب كفرهم فتعْسًا لهم من أُمَّةٍ غَضَبيَّةِ
وأظهر أيضًا للنصارى ضلالهم وما أحدثوا في الملَّةِ العِيسويَّةِ
وباحَثَهم حتى تبيَّن أنّهم سُكارى حَيارى بالطِّباع الخبيثةِ
وردَّ على كُتُب الفلاسفة الأُلى بمنقولِ أحكامٍ ومعقولِ حِكْمةِ
وقرَّر إثبات النُّبوات عندهم وجال عليهم كرَّةً بعدَ كرَّةِ
وردَّ على جَهْمٍ وجَعْدِ بن دِرْهمٍ وبشرِ المَرِيسي عُمْدة الجَهْميَّةِ
زنادِقةٌ كم أهلكوا من عوالمٍ بُسوءِ اعتقاداتِ النُّفوسِ السَّقيمةِ
وجُادَلَ أهلَ الاعتزال جميعهم وسلَّ عليهم سيفَه بالأدلَّةِ
وباحَثَ أشياخَ الرَّوافِض وانثنَى يُقاتلهم بالدِّرَّةِ العُمَريَّةِ
وردَّ على قومٍ تربَّتْ نُفُوسهم على النَّفْي والتعطيل من غير حُجَّةِ
وردَّ على قومٍ وشتَّتَ شملَهم وهم أهلُ تشبيه أتوْا بكبيرةِ
وردَّ على أهل التَّناسُخ عندما تَجَرَّوْا وخاضُوا في أمورٍ عظيمةِ
وردَّ على أهل الحُلُولِ فإنَّهم يروْن تجلِّي الحقِّ في كلِّ صورةِ
وقد زعموا أن التَّجلِّيَ ظاهِرٌ ولا سيَّما في صورةٍ أمْرَدِيَّةِ
فمن أجْلِ هذا يرقصون ديانةً وفي رقصهم جاءوا بكُلِّ قبيحةِ
يروْن شهودَ المُرْدِ والرَّقص قُربةً فيا وَيْلهم من خِزْي يومِ الفضيحةِ
وردَّ على أتْباعِ إبليسَ عندما رآهم وقد مالوا إلى الجَبْريَّةِ
وكم قد طوى في عِلْمه من طوائف حَرُوريَّةٍ منهم على حَشَويَّةِ
مطايا بُنَيَّات الطريق سرتْ بهم إلى أن أناخُوا في عِراصِ القطيعةِ

وفي بحر آراء العقائد أغرقوا ... رمتْهم خيالاتُ العقول السخيفةِ
وكم قدْ أراهم كلّهم سبُل الهُدى ... وكم قد نهاهم مرَّةً بعد مرّةِ
فمن كان قطب الكون في حال عصره ... سواه ومنْ قد فاز بالبَدَليَّةِ
شجاعٌ هُمامٌ بارعٌ في صفاته ... يروم مرامًا في المراقي العَلِيَّةِ
هو الحَبْر والقُطب الذي شاع ذكْرُه ... وفاح شذاه كالعبير المُفَتَّتِ
ألا يا تقيَّ الدين ، يا فردَ عَصْرِه ... بُرُوقُك قد لاحتْ كشمسٍ مضيئةِ
وبانتْ لكلِّ الناس أوصافُك التي ... برزتَ بها مِثْلَ العيون الغزيرةِ
ظهرتَ بأنواع العلوم وجنسها ... وسارت بها الرُّكْبانُ في كلِّ بلدةِ
لقد كُنتَ رُوحًا للقلوب وراحةً ... وقُوتًا وأُنسًا للنفوس النفيسةِ
تمسَّكت بالدين الحنيفيِّ والهُدى ... وبالعُروة الوثقى وأصل الشريعةِ
وجُدتَ بكأس الفضل منك تكرُّمًا ... على تابِعِين السُّنّة المحمديّةِ
لقد عشتَ محبوبًا ومتَّ مكرَّمًا ... عليك من الرحمن أزْكَى تحيَّةِ[1]

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، الإمام ابن قيم الجوزية :

لقد كان هذا الإمامُ العظيمُ إمامًا في السنة والاتباع ، ثائرًا على التقليد « يندد بالمقلدة ويَنْعَى عليهم حظهم من العلم ، ويعقد مجالس المناظرة بين المقلد وصاحب الحجة - في كتبه - ويصفه بأنه بدعة ، وأنه من المحدثات بعد خير القرون ، وقد عالج هذه القضية في كتبه في مناسبات كثيرة ، وقد بسط الحديث عن أحكام الاجتهاد والتقليد في كتابه (إعلام الموقّعين) في أكثر من مائة صحيفة .

وابن القيم - رحمه الله - لم يصل في هذا إلى حظيرة المتهورين الذين

(١) العقود الدُّرِّيّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي ص٤٦٥ - ٤٧٢ .

أزروا بالأئمة الأربعة وأصحابهم ، كمتطرفي الظاهرية ومن نحا نحوهم ، فردوا بدعة التقليد ببدعة الإزراء بالسلف واقتراف إثمه وجرمه . ولم يكن أيضًا من أولئك الذين أشقاهم التعصب ، وأصمهم وأعمى أبصارهم عن نور الوحيين : الكتاب والسنة ، حتى بلغ بهم الهوس . ردَّ المذهب بمذهبٍ آخر ، وأبدوا من غرائب المواقف والتراشق ، ما يكون سُبَّةً وعارًا في تاريخ المسلمين ، ولكنه - رحمه الله - أخذ بالطريق الأوسط ، وهو بعبارةٍ مختصرة : (مُناشدة الدليل مع احترام الأئمة) .

يقول في إعلام الموقعين (١٧٧/٤) : « كثيرًا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب ، فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده ، فنحكي المذهب الراجح ونرجحه » .

فمعرفة المذهب شيءٌ ، والتقليد له شيءٌ آخر . فالمعرفة مع الانقياد للدليل ، هو منهج أصحاب الأئمة ، وهو مقام مدحٍ لا مقام ذمٍّ ، بخلاف التقليد بلا دليل »[(١)] .

وقد أُوذي ابن القيم بسبب مجاهدته لنشر عقيدة السلف ، ومحاولة ردّ الخلف إلى طريق السلف ، فحُبس مدةً لإنكاره شدّ الرِّحال إلى قبر الخليل ، وسجن بسبب فتاويه القائمة على الدليل ، كمسألة الطلاق الثلاث بلفظٍ واحد ، فقد تصدى للفتوى بهذه المسألة على وفق اختيار شيخه ابن تيمية ، وعامة أهل الأرض مطبقون على أن طلاق الثلاث بلفظ واحدٍ ، يعتبر ثلاثًا لا واحدةً .

فرحم الله من سجن لكسر سلطان التقليد ، وانتصر للدليل ردًّا للأُمّة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره . لبكر بن عبد الله أبو زيد ص٤٤ - ٤٥ .

وابن القيم - رحمه الله تعالى - في فاتحة كتابه (إعلام الموقعين) يذكر انعقاد الإجماع - خلفًا وسلفًا - على وجوب الرد إلى الله ورسوله ، وأن التقليد مع ظهور الدليل ، حكمه التحريم ، والمقلد الأعمى خارجٌ عن زمرة العلماء ، وينعى حال عصره ، وما ينال من قام بهذا الشأن من الكيد والأذى ، فيقول بعد امتداحه لحال الصحابة رضي الله عنهم : « ثم خلف من بعدهم خلوفٌ فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ، كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون ، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا ، وكل إلينا راجعون ، جعلوا التعصُّب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون ، ورؤوس أموالهم التي بها يتّجرون ، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنا على آثارهم مقتدون .

والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب ، ولسان الحق يتلو عليهم : ﴿ **ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب** ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قال أبو عمر وغيره من العلماء : « أجمع الناس على أن المقلّد ليس معدودًا من أهل العلم ، وأنّ العلم معرفة الحق بدليله » . وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى ؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد . فقد تضمن هذان الإجماعان : إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء ، وسقوطهما باستكمال من فوقهما وراثة الأنبياء ، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر ، وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه ، ويضيع ساعات عمره في التعصب والهوى،ولا يشعر بتضييعه ؟! .

تالله ، إنها فتنة عمت فأعمت ، ورمت القلوب فأصمت ، ربا عليها الصغير ، وهرم فيها الكبير ، واتخذ لأجلها القرآن مهجورًا ، وكان ذلك

بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطورًا ، ولمّا عمت بها البلية ، وعظمت بسببها الرزية ، بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها ، ولا يعيرون العلم إلا إياها ، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون ، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون ، نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل ، وبغوا له الغوائل ، ورموه عن قوس الجهل والبغي والعناد ، وقالوا لإخوانهم : إنا نخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد .

فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة ، ألّا يلتفت إلى هؤلاء ، ولا يرضى لهم بما لديهم ، وإذا رفع لهم علم السنة المحمدية شمر إليه ولم يحبس نفسه عليهم . فما هي إلا ساعة حتى يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، وتتساوى أقدام الخلائق في القيام لله ، وينظر كل عبدٍ ما قدمت يداه ، ويقع التمييز بين المحققين والمبطلين ، ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، أنهم كانوا كاذبين » .

فرحم الله ابن القيم ، لقد كان - مع ما ناله في هذا السبيل - رابط الجأش ، ثابت الجنان كالجبل الأشم ، لا تؤثر فيه العوامل من الرياح والأمطار والمناخ ، ولا تثنيه عن مسلك الحق وقولة الحق ، ويرى أن هذا كله طيش وسفه ، لا يلبث أن يذوب ويتفرق شأن الباطل ، ولا يؤثر إلا على من في عقله ضعف وفي دينه ذلة . وفي ذلك يقول[1]: « من في عقله ضعف : تؤثر فيه البداءات ، ويستفز بأوائل الأمور ، بخلاف الثابت التام العاقل ؛ فإنه لا تستفزه البداءات ، ولا تزعجه ولا تقلقه ، فإن الباطل له دهشة وروعة في أوله ، فإذا ثبت له القلب ، رده على عقبيه . والله يحب من عنده العلم والأناة ، فلا يعجل ، بل يثبت حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه ، ولا يعجل بأمرٍ فيه استحكامه ، فالعجلة والطيش من الشيطان ، فمن

(١) مفتاح دار السعادة ص١٥٤ .

ثبت عند صدمة البداءات ، استقبل أمره بعلمٍ وحزمٍ ، ومن لم يثبت لها ، استقبله بعجلةٍ وطيشٍ وعاقبته الندامة ، وعاقبة الأول حمد أمره ، ولكن للأول آفة متى قرنت بالحزم والعزم نجا منها ، وهي الفوت ؛ فإنه لا يخاف من التثبيت إلا الفوت ، فإذا اقترن به العزم والحزم ، تم أمره » .

ولقد تم الأمر - ولله الحمد - للشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى ، فقد أرسى سفينة النجاة على شاطىء السلامة ، تحمل النور والهدى ، وكسر المقلدة المتعصبة ، ومن نحا نحوهم ، فذابت العصبية المذهبية في الطريقة الأثرية ؛ فصححت المفاهيم ، وأخذ يدبّ في الناس روح الأخذ بالدليل ، مع احترام الأئمة السالفين ، بل هو مسلكهم وكريم منهجهم ، وما زال هذا يدب في كل عهدٍ ومهدٍ حتى أيامنا هذه ، بل في هذه الأيام والأزمان الحاضرة ، لم يجد الناس بدًّا من ذلك المنهج السوي والمشرع الروي ؛ لأنه هو الذي يتمشى ووقائع العصر ونوازله ، فعاد أعداء المدرسة الأثرية لها أصدقاء ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ولقد كان الاعتماد على الأدلة من الكتاب والسنة ، أبرز خصائص المدرسة السلفية التي قام بنشرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - على أنقاض الرد إلى محض الآراء ومستبعد الأقيسة وفاسد التأويل .

فابن القيم - رحمه الله تعالى - يبرز الأدلة من الكتاب والسنة ، ويستنبط الأحكام الشرعية منها بأسلوبٍ سهل مبسط ، خالٍ من التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي ، متطلّبًا نشر التشريع وبث التوجيه ردًّا إلى الله ورسوله ، وإلى أن يرد الناس منابع الشريعة الأُولى خاليةً من كل وَضَرٍ ، خالصةً من كلّ شائبةٍ .

وهذا منهجٌ أصيل في عامَّة كتبه ومباحثه ، لا أراني مضطرًّا إلى سياق مواضع من كلامه للتدليل عليه .

لكني أراني مضطرًّا إلى نقل طائفةٍ من كلامه في احترام الأدلة من

الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ، والتنديد بمن أعرض عن هذا وخالفه ، لمخالفته أمر الله ورسوله ﷺ ، لأن هذا هو الذي يشكل التقعيد والتأصيل لمنهج ابن القيم رائد المدرسة السلفية . ومن ذلك ما يلي :

قال في مقام الأدب مع النبي ﷺ : « ومن الأدب معه ﷺ أن لا يستشكل قوله ، بل يستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارض نصه بقياسٍ ، بل تهدر الأقيسة وتلغى لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيالٍ يسميه أصحابه معقولًا ، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحدٍ ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ ، وهو عين الجرأة » .

ويقرر ابن القيم في (مدارج السالكين) بحثًا ممتعًا لطيفًا ، في وجوب إذعان المسلم وتواضعه للدليل ، وحرمة المعارضة والمخالفة ، أسوقه بطوله لنفاسته ، فيقول – رحمه الله تعالى –: « التواضع للدين هو الانقياد لِمَا جاء به الرسول ﷺ والاستسلام له والإذعان ، وذلك بثلاثة أشياء :

الأول : أن لا يعارض شيئًا مما جاء به ، بشيءٍ من المعارضات الأربعة السارية في العالم ، المسماة : بالمعقول ، والقياس ، والذوق ، والسياسة . فالأول : للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين ، الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة ، وقالوا : إذا تعارض العقل والنقل ، قدمنا العقل وعزلنا النقل ، إما عزل تأويلٍ وإما عزل تفويض . والثاني : للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه ، قالوا : إذا تعارض القياسُ والرأْي والنصوصُ ، قدمنا القياس على النص ، ولم نلتفت إليه . والثالث : للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف والزهد ، فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر ، قدموا الذوق والحال ، ولم يعبئوا بالأمر . والرابع : للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين ، إذا تعارضت عندهم الشريعة

والسياسة ، قدموا السياسة ، ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة .

فهؤلاء الأربعة هم أهل الكبر . والتواضع : التخلص من ذلك كله .

الثاني : أن لا يتَّهِم دليلًا من أدلة الدين ، بحيث يظنه فاسد الدلالة ، أو ناقص الدلالة ، أو قاصرها ، أو أن غيره كان أولى منه . ومتى عرض له شيءٌ من ذلك ، فليتهم فهمه ، وليعلم أن الآفة منه ، والبلية فيه ، كما قيل :

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا ... وآفَتُهُ مِن الفَهْمِ السَّقِيمِ

ولكنْ تأخُذُ الأذهانُ منه ... على قَدْرِ القَرائِحِ والفُهُومِ

وهكذا في الواقع حقيقةً : أنه ما اتهم أحدٌ دليلًا للدين ، إلا وكان المتهم هو الفاسد للذهن ، المأفون في عقله وذهنه ، فالآفة من الذهن العليل ، لا في نفس الدليل . وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك ، وينبو فهمك عنه ، فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك ، وأن تحته كنزًا من كنوز العلم . ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك ، وأما بالنسبة إلى غيرك : فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي ، وليكن ردها أيسر شيءٍ عليك للنصوص ، فما لم تفعل ذلك ، فلست على شيءٍ ولو .... ولو .... وهذا لا خلاف فيه بين العلماء .

قال الشافعي - قدّس الله روحه -: (أجمع المسلمون على أن مَنِ استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، لم يحل له أن يدعها لقول أحدٍ) .

الثالث : أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلًا ألبتة ، لا بباطنه ولا بلسانه ، ولا بفعله ولا بحاله ، بل إذا أحسَّ بشيءٍ من الخلاف ، فهو كخلاف المقدم على الزنا ، وشرب الخمر ، وقتل النفس . بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك ، وهو داعٍ إلى النفاق ، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم .

واعلم أن المخالف للنص ؛ لقول متبوعه وشيخه ومقلده ، أو لرأيه

ومعقوله وذوقه وسياسته : إن كان عند الله معذورًا - ولا والله ما هو بمعذورٍ - فالمخالف لقوله ؛ لنصوص الوحي ، أولى بالعذر عند الله ورسوله وملائكته والمؤمنين من عباده .

فواعجبا إذا اتسع بطلان المخالفين للنصوص لعذر من خالفها تقليدًا أو تأويلًا أو لغير ذلك ، فكيف ضاق عن عذر من خالف أقوالهم وأقوال شيوخهم ؛ لأجل موافقة النصوص ؟! وكيف نصبوا له الحبائل ، وبغوه الغوائل ، ورموه بالعظائم ، وجعلوه أسوأ حالًا من أرباب الجرائم ؟! فرموه بدائهم وانسلوا منه لواذًا ، وقذفوه بمصابهم وجعلوا تعظيم المتبوعين ملاذًا لهم ومعاذًا . والله أعلم » .

نهج ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مسائل العلم منهج الاسترواح والتطلب من كتاب الله تعالى ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن سنة رسوله ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى ، فإن لم يجد ، أخذ بأزمة أقوال الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأنهم أبر الأُمّة قلوبًا وأعمقها دينًا وأصحها فهومًا .

وهذه صفة بارزة وسمة ظاهرة في جميع مباحثه في العقائد والأحكام .

ولهذا أفاض - رحمه الله تعالى - بالاستدلال لهذا الأصل ، ووجوب الأخذ به ، والعمل بموجبه ، من ستةٍ وأربعين وجهًا ، بسطها في كتابه (إعلام الموقعين)[1] .

مدى تأثُّره بابن تيمية :

إن المدرسة السلفية التي جدد بناءها شيخ الإسلام ابن تيمية ، بما ملأ الأسماع ، وصار حديث أهل الإسلام في شتى الأقطار ، وبما آتاه الله من

---

(١) إعلام الموقعين ٤/١٢٣ - ١٥٦ .

المواهب النادرة ، والتفنن في علوم الإسلام ، وابن القيم يسمع ويرى ، ويعايش هذا الاتجاه الفكري الانقلابي على التقليد والطائفية والمذاهب الكلامية ، والتخبطات العقائدية ، رجوعًا بالأُمّة إلى ما كان عليه السلف الصالح ، وردًّا لكل نزاعٍ في ذلك إلى الله والرسول . كل ذلك لا بد أن يكون له في نفوس المتعلمين الأثر الكبير ، وابن القيم يعيش في مرحلة الطلب ، ولديه من الهمة والعلم والذكاء والألمعية ، ما يسيره إلى الطريق السوي والمَشْرع الروي ، بعد حلول العناية الربانية في أعطاف ما أعطاه الله من المواهب ، فما كان لابن القيم إذن أن ينفلت من ذلك التأثير ، فاتصل بشيخ الإسلام عام قدومه ، وثنى ركبتيه في حلقات درسه ، لينهل من معارفه وعلومه ، وصحبه في ذلك ستة عشر عامًا وهو يقرأ عليه فنون العلم .

فصار لهذه الصحبة والملازمة الطويلة ، الأثر البالغ على ابن القيم في تكوين اتجاهه ، وتغذية مواهبه ، وإشباع نهمته بعلوم الكتاب والسنة والرد إلى الله والرسول ، حتى صار أبرع تلاميذه ، وألمعهم نجمًا ، وأجلاهم اسمًا ، فلا يكاد يذكر الشيخ ابن تيمية ، إلَّا ويذكر معه تلميذه ابن قيم الجوزية ، وسرى نور هذين العلمين في آفاق المعمورة ، بسعة العلم ، وأصالة الفكر ، والتجديد في دعوة الناس إلى صراط الله المستقيم .

وقد اتفقت كلمة النقلة ، على أن تاريخ اللقاء بينهما كان منذ سنة ٧١٢هـ ، واستقر إلى أن مات - رحمه الله تعالى - سنة ٧٢٨هـ .

وقد بقي ابن القيم - رحمه الله تعالى - ملازمًا له طيلة هذه المدة ؛ أي طوال ستة عشر عامًا ، فأخذ عنه علمًا جمًّا ، وتلقى فنونًا كثيرة .

ومن مآثر شيخ الإسلام ابن تيمية وأياديه البيضاء : توبة ابن القيم على

يديه بعد اتصاله به ، وتأثره به في النهج السلفي في الاعتقاد والاتباع .

ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في النونية بعض ما يقوله الأشاعرةُ وغيرهم ، في الصِّفات من التأويلات . وبعض ما في كتب النُّفاة من الطّامّات ، وبيَّن ضررهم على الدين ، ومناهضتهم لنصوص الكتاب والسنة . ثم عقد فصلًا أعلن فيه أنه قد وقع في بعض تلك المهالك ، حتى أتاح له الإلهُ مَنْ أزال عنه تلك الأوهام ، وأخذ بيده إلى طريق الحق والسلامة ، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وفي إعلانه لتوبته على يديه يقول :

يا قوم واللَّهِ العظيمِ نصيحةٌ ... مِن مُشفِقٍ وأخٍ لكم مِعْوانِ
جرَّبتُ هذا كلَّه ووقعتُ في ... تلك الشَّباكِ وكنت ذا طَيَرانِ
حتى أتاح لَيَ الإلهُ بفَضلِهِ ... مَن ليس تجزيه يدي ولساني
فتًى أتى من أرض حَرَّانَ فيا ... أهلًا بمن قد جاء مِنْ حرّانِ
فاللَّهُ يجزِيهِ الذي هو أهْلُه ... من جنَّةِ المأوى مَعَ الرِّضوانِ
أخذتْ يداه يدي وسار فلم يَرُمْ ... حتى أراني مَطْلَعَ الإيمانِ
ورأيتُ أعلامَ المدينةِ حولها ... نُزُلُ الهُدى وعساكرُ القرآنِ
ورأيت آثارًا عظيمًا شأنُها ... محجوبةً عن زُمرةِ العمْيانِ
ووردتُ كأس الماء أبيضَ صافيًا ... حَصْباؤُه كلآلىء التِّيجانِ
ورأيتُ أكوابًا هناك كثيرة ... مِثْل النُّجُوم لوارِدٍ ظمآنِ
ورأيتُ حَوْضَ الكَوْثَر الصافي الذي ... لا زال يَشخُبُ فيه مِيزابانِ
ميزاب سُنَّته وقول إلهِهِ ... وهما مدى الأيام لا يَنِيانِ
والناس لا يَرِدُونهُ إلَّا مِن الـ ... آلاف أفرادٌ ذوو إيمانِ
وَرَدُوا عِذابَ مَناهِلٍ أكْرِمْ بها ... ووَرَدْتُمُ أنتم عَذابَ هَوانِ

ثم إن ابن القيم - رحمه الله تعالى - أعاد الكرة بذكر هذه النعمة ،

فبين أنه طاف المذاهب يبتغي الهدى والنور ، فما زاده ذلك التطواف إلّا ظلمةً وحرقةً ، حتى هداه الله تعالى وتداركه بلطفه ، فأخذ بزمام الكتاب والسنة ، واستعصم بهما عن المذاهب الكلامية والمناهج الفلسفية ، وفي ذلك يقول :

يا طالبَ الحقِّ المُبينِ ومُؤْثِرًا عِلْمَ اليقينِ وحُجَّةَ الإيمانِ
اسمعْ مقالةَ ناصحٍ خَبَرَ الذي عند الوَرَى قد شبَّ حتى الآنِ
ما زال مُذ عقدتْ يداه إزارَهُ قد شدَّ مِئْزَرَهُ إلى الرحمنِ
وتَخَلُّلُ الفَتَرَاتِ للعَزَماتِ أمْـ ـرٌ لازِمٌ لطبيعة الإنسانِ
وَتولُّد النُّقْصانِ مِن فَتَرَاتِهِ أو ليس سَائِرُنا بَني النقصانِ
طاف المذاهبَ يبتغي نورًا ليَهْـ ـدِيَهُ وينجيه من النيرانِ
وكأنَّه قد طاف يبغي ظلمة اللَّيْلِ البهيمِ ومذهبَ الحَيْرانِ
واللَّيْلُ لا يزدادُ إلَّا قوةً والصُّبْحُ مقهورًا بذا السُّلْطانِ
حتى بدتْ في سيْره نارٌ على طور المدينةِ مَطْلَع الإيمانِ
فأتى ليَقْبِسَها فلم يُمكنه معْ تلك القُيُودِ مَنَالَها بأمانِ
لولا تَدَارَكَهُ الإلهُ بلُطْفِه ولَّى على العَقِبيْن ذا نُكصانِ
لكن توقَّف خاضعًا مُتذلِّلا مُسْتَشْعِرَ الإفلاس مِن أثمانِ
فأتاه جندٌ حلَّ عنه قيودَهُ فامتدَّ حينئذٍ له الباعانِ
واللهِ لولا أن تُحلّ قيودُه وتَزُول عنهُ رِبْقَةُ الشَّيطانِ
كان الرُّقِيُّ إلى الثُّرَيَّا مصعدًا مِن دون تلك النارِ في الإمكانِ
فرأى بتلك النار آطامَ المديـ ـنة كالخيامِ تَشُوفُها العينانِ
ورأى هُنالك كلَّ هادٍ مهتدٍ يدعو إلى الإيمان والإيقانِ
فهناك هنَّا نَفْسَه متذكِّرًا ما قاله المشتاقُ منذ زمانِ
والمُسْتَهَام على المحبّةِ لم يَزَل حَاشَا لذكْركُمُ من النسيانِ

لو قيل ما تهوى لقال مبادِرًا ... أهوى زيارتكُم على الأجفانِ
تالله إن سمح الزمانُ بقُرْبِكم ... وحللتُ منكم بالمحلِّ الدّاني
لأُعفِّرنَّ الخدَّ شُكرًا في الثَّرى ... وأُكحِّلَنَّ بتُرْبِكم أجفاني
إنْ رُمتَ تُبصِر ما ذكرتُ فغُضَّ طر ... فًا عن سوى الآثارِ والقرآنِ
واترُكْ رسوم الخلق لا تعبأْ بها ... في السَّعْد ما يُغنيك عن دَبَرانِ
حذِّقْ لقلبك في النصوص كمثل ما ... قد حذّقُوا في الرّأي طُول زمانِ
واكْحَلْ جفونَ القلب بالوحْيَيْنِ واحْـ ... ـذَرْ كُحْلهم يا كثرة العُمْيَانِ
فاللَّهُ بيَّن فيهما طرق الهُدى ... لعبادِهِ في أحسن التِّبيانِ
لم يُحوِج الله الخلائقَ معْهما ... لخيال فَلْتانٍ ورأي فُلانِ
فالوحي كافٍ للَّذي يُعْنَى به ... شافٍ لداءِ جهالة الإنسانِ
والعلم أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... من رابعٍ والحقّ ذو تِبيانِ
علمٌ بأوصاف الإلهِ وفِعْلِه ... وكذلك الأسماء للرحمنِ
والأمر والنهي الذي هو دِينُهُ ... وجزاؤه يوم المعادِ الثاني
والكلُّ في القرآن والسُّنَنِ التي ... جاءت عن المبعوثِ بالقرآنِ

يرحم الله ابن القيم ، فقد امتحن وأُوذي من أجل مناصرته لشيخه في ذات الله ، ومن أجل نصرة السنة والدليل .

يقول ابن رجب : « وقد امتحن وأُوذي مراتٍ ، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة ، منفردًا عنه ، ولم يفرج عنه إلّا بعد موت الشيخ »[١] .

ويقول ابن حجر : « إنه اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة ، بعد أن أُهين وطيف به على جملٍ مضروبًا بالدرة ، فلما مات ، أُفرج عنه »[٢] .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٨ .
(٢) الدرر الكامنة ٤/٢١ .

وكما احتفى بشيخه وعلومه حال حياته ، وأخلص في محبته وولائه ، فقد كان خليفته الراشد بعد وفاته ، فتلقف راية التجديد ، وثبت على جادة التوحيد : بنشر العلم ، وبرد الخلف إلى مذهب السلف .

فاتسعت به دائرة المَدرسة السلفية ، وانتشر روادها في كل ناحية وصقع . وكان من حفاوته بشيخه (شيخ الإسلام) أن دون في ثنايا كتبه جُمَلًا من مواقفه ، وسؤالاته له ، وأسئلة غيره له ، وطائفة من أحواله ومرائيه واختياراته ، مما لو استل من مؤلفات ابن القيم ، لظهر في مجلدة لطيفة ، ترفل بعزيز الفوائد ولطائف العلم . والله أعلم .

يقول الشوكاني في « البدر الطالع » (٢/١٤٤ - ١٤٥) عن ابن القيم : « ليس له على غير الدليل معول .. وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة ، وجعل بينها وبين الآراء المحدثة أعظم جنة ، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرًا » .

ويقول العلَّامة صديق حسن خان عن ابن القيم:« كان يتقيد بالأدلة الصحيحة ، معجبًا بالعمل بها ، غير مصرٍّ على الرأي » .

يقول الشيخ بكر أبو زيد : « وهذه أرضى العبارات وأسعدها بالقبول ، لمطابقتها عين الواقع لمن كانت له دربة تامة على مؤلفات ابن القيم ، ودرى ما فيها من العلم والفقه » .

يقول ابن القيم مبيِّنًا أن اتباع السنة والقرآن طريق النجاة من النيران :

يا مَن يُريد نجاتَهُ يوم الحسا ... بِ من الجحيم ومُوقد النِّيرانِ
اتْبَعْ رسول الله في الأقوال والْـ ... أعمالِ لا تَخْرُج عن القرآنِ
قَدِّرْ رسول الله عندك وَحْدَهُ ... والقولُ منه إليك ذو تِبيانِ
ماذا ترى فرضًا عليك مُعَيَّنًا ... إن كُنت ذا عقلٍ وذا إيمانِ

عَرْض الذي قالوا على أقواله ... أو عَكْس ذاك فذانِكَ الأمرانِ
هي مَفْرِقُ الطرقات بَيْنَ طريقنا ... وطريق أهل الزَّيْغِ والعُدوانِ
قدِّرْ مقالاتِ العبادِ جميعهم ... عَدَمًا وراجع مَطْلَع الإيمانِ
واجعلْ جُلوسَك بين صَحْب محمدٍ ... وتَلَقَّ معْهم عنه بالإحسانِ
وتَلَقَّ عنهم ما تلقَّوْه هُمُ ... عنه من الإيمان والعِرْفانِ
أفليس في هذا بلاغُ مُسافرٍ ... يبغي الإلَهَ وجنة الحيوانِ
فلأيِّ شيءٍ يَعْدِلُ الباغي الهُدى ... عن قوله لولا عَمَى الخُذْلانِ
فالنَّقْل عنه مُصَدَّقٌ والقولُ مِن ... ذي عصمةٍ ما عندنا قوْلانِ
والعَكسُ عند سواه في الأمرين يا ... مَن يهتدي هل يستوي النَّقْلانِ
تاللَّهِ قد لاح الصَّباحُ لمن له ... عينان نحو الفجر ناظِرتانِ
وأخو العَمَاية في عَمَايَتِهِ يقو ... ل اللَّيْل بعدُ أيستوي الرَّجُلان
تاللَّهِ قد رُفِعتْ لك الأعلامُ إنْ ... كنتَ المُشَمِّر نلتَ دارَ أمانِ

ويقول ابن القيم ناصحًا باتباع السنة في نونيته :

يا مَنْ تعزُّ عليهمُ أرواحُهُمْ ... ويَرَوْن غَبْنًا بَيْعها بهوانِ
ويَرَوْن خسرانًا مُبِينًا بَيْعها ... في إثْر كلِّ قبيحةٍ ومهانِ
ويروْن مَيْدان التَّسابُق بارِزًا ... فيتاركون تَقَحُّم الميدانِ
ويرون أنفاسَ العبادِ عليهمُ ... قد أُحصيتْ بالعَدّ والحسبانِ
ويرون أن أمامهم يوم اللِّقا ... لله مسألتان شاملتانِ
ماذا عبدتم ثُمَّ ماذا قد أجَبْـ ... ـتُم مَن أتى بالحقِّ والبرهانِ
هاتوا جوابًا للسُّؤال وهيئُوا ... أيضًا صوابًا للجواب يداني
وتيقَّنُوا أن ليس يُنجيكم سوى ... تجريدكم لحقائق الإيمانِ
تجريدُكم توحيده سبحانه ... عن شركةِ الشيطان والأوثانِ
وكذاك تجريد اتِّباع رسوله ... عن هذه الآراء والهَذَيانِ

والله ما يُنجي الفتى من ربه　　شيءٌ سوى هذا بلا رَوَغانِ

ما من عمل إلا وينشر له ديوانان يوم القيامة : لمن ؟ وكيف ؟

لمن : سؤال عن الإخلاص . وكيف : سؤال عن المتابعة .

قال تعالى : ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملًا** ﴾ [الملك : ٢] .

قال الفضيل بن عياض : هو أَخْلصُه وأصوبه . قالوا : يا أبا عليّ ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا ، لم يقبل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا ، لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ويتكلم ابن القيم - رحمه الله - عن الفرق بين أهل السنة وغيرهم ، فيقول في النونية لخصوم أهل السنة :

والفَرْق بَيْنَكمُ وبين خصومكم　　من كلِّ وجهٍ ثابتٌ ببيانِ

ما أنْتُم مُنهم ولا هم منكمُ　　شَتَّان بين السَّعْدِ والدَّبَرانِ

فإذا دَعَوْنا للقُرانِ دعوتمُ　　للرَّأْيِ أين الرأيُ من قرآنِ

وإذا دعونا للحديث دعوتمُ　　أنتم إلى تقليدِ قولِ فُلانِ

وكذا تلقّينا نصوص نبيِّنا　　بقَبُولِها بالحقِّ والإذعانِ

من غير تحريفٍ ولا جَحْدٍ ولا　　تفويضِ ذي جهلٍ بلا عِرفانِ

لكنْ بإعراضٍ وتجهيلٍ وتأ　　ويلٍ تلقَّيْتُم مع النُّكرانِ

أنكرتموها جُهْدَكم فإذا أتى　　ما لا سبيل له إلى نكرانِ

أعرضتمُ عنه ولم تستنبطُوا　　منه هُدًى لحقائق الإيمانِ

فإذا ابتُليتم مُكْرَهين بسَمْعِها　　فوَّضتُمُوها لا على العرفانِ

لكنْ بجهلٍ للذي سيقَتْ له　　تفويض إعراضٍ وجهلِ معانِ

فإذا ابتُليتم باحتجاجِ خُصومِكم أوْلَيْتُموها دَفْعَ ذي صَوَلانِ
فالجَحْد والإعراض والتأويل والـتَّـجهيل حظُّ النصِّ عند الجاني
لكنْ لدَيْنا حظُّه التَّسْليم مَعْ حُسْن القَبُول وفَهْم ذي الإحسانِ
ولنا الحقيقةُ من كلام إلهنا ونَصيبُكم منه المجاز الثاني
وقواطِعُ الوَحْيَيْن شاهدةٌ لنا وعليكم هل يستوي الأمرانِ
وجنودُنا مَنْ قد تقدَّم ذِكْرُهم وجُنُودُكُم فعساكِرُ الشيطانِ
وخيامُنا مضروبةٌ بمشاعر الْـ وحْيَيْنِ من خَبَرٍ ومِن قرآنِ
وخيامُكم مضروبةٌ بالتِّيه فالـسُّكَّان كلُّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
ولنا المسانِدُ والصِّحاحُ وهذه الـسُّنَنُ التي نابتْ عن القرآنِ
ولكم تصانيفُ الكلام وهذه الْـ آراءُ وهْي كثيرةُ الهَذَيانِ
شُبَهٌ يُكَسِّرُ بعضُها بعضًا كبَيْـ ـتٍ من زُجاج خرَّ للأركانِ
هل ثَمَّ شيءٌ غيرَ رأيٍ أو كلا مٍ باطلٍ أو منطقِ اليونانِ
ونقول قال الله قال رسولُه في كلِّ تصنيفٍ وكلِّ مكانِ
لكن تقولوا قال آرسطو وقا ل ابنُ الخطيب وقال ذو العرفانِ
شيخٌ لكم يُدعَى ابن سينا لم يكن متقيِّدًا بالدين والإيمانِ
وخيارُ ما تأتُون قال الأشعريُّ وتشهدون عليه بالْبُهتانِ
هذا ونحن فتاركوا الآراء للنَّـقْل الصحيح ومُحْكَم الفرقانِ
وعرضتمُ قول الرسول على الذي قال الشيوخُ ومحكم الفرقانِ
فالمحكم النَّصُّ الموافِقُ قولهم لا يَقْبُل التأويلَ في الأذهانِ
لكنَّما النَّصّ المخالف قولهم لا يقبل التأويل في الأذهانِ
لكن عرضنا نحنُ أقوال الشيو خِ على الذي جاءتْ به الوَحْيَانِ
ما خالف النَّصَّين لم نعبأْ به شيئًا وقُلنا حَسْبُنا النَّصَّانِ
والمُشْكِل القول المخالف عندنا في غاية الإشكال لا التِّبيانِ

هذي سبيلُكمُ وتلك سبيلُنا ... والموعدُ الرحمنُ بعد زمانِ
وهناك يُعْلَمُ أيّ حزبَيْنا على الْـ ... ـحقِّ الصريح وفِطْرةِ الدَّيّانِ
فاصبِرْ قليلًا إنّما هي ساعةٌ ... فإذا أُصِبْتَ ففي رضا الرحمنِ
فالقومُ مِثْلك يَأْلُمون ويصبرو ... نَ وصبرُهم في طاعة الشيطانِ

ويقول - رحمه الله - في كفاية النصين وجناية أعداء السنة عليهما :

وكفايةُ النَّصَّين مشروطٌ بتَجْـ ... ـريد التَّلَقِّي عنهما لِمَعَانِ
وكذاك مشروطٌ بخلْع قيودهم ... فقيودهم غُلٌّ إلى الأذقانِ
وكذاك مشروط بهدم قواعد ... ما أنزلت ببيانها الوحيانِ
وكذاك مشروطٌ بإقدامٍ على الْـ ... آراء إن عَرِيَتْ عن البُرهانِ
بالرَّدِّ والإبطال لا تعبأْ بها ... شيئًا إذا ما فاتها النَّصَّانِ
لولا القواعد والقيود وهذه الْـ ... آراء لاتَّسعَتْ عُرى الإيمانِ
لكنَّها والله ضيِّقة العُرى ... فاحتاجتِ الأيدي لذاك توانِ
وتعطَّلتْ من أجلها والله أَعْـ ... ـدادٌ من النَّصَّين ذات بيانِ
وتضمَّنتْ تقييدَ مُطْلَقِها وإطْـ ... ـلاق المقيَّدِ وهْو ذو ميزانِ
وتضمَّنتْ تخصيصَ ما عمَّتْه والتَّـ ... ـعميم للمخصوص بالأعيانِ
وتضمَّنتْ تفريقَ ما جَمَعَتْ وجَمْـ ... ـعًا للّذي وسَمَتْهُ بالفُرقانِ
وتضمّنتْ تحليل ما قدْ حرَّمَتْـ ... ـهُ وعَكْسه فلتنظُرِ العينانِ
سكتتْ وكان سكوتُها عَفْوًافلم ... تعْفُ القواعدُ باتِّساع بطانِ
وتضمَّنتْ إهدارَ ما اعتبرتْ كذا ... بالعكس والأمران محذورانِ
وتضمَّنتْ أيضًا شُرُوطًا لم تكُن ... مشروطةً شرْعًا بلا بُرهانِ
وتضمّنتْ أيضًا موانع لم تكُنْ ... ممنوعةً شرعًا بلا تِبيانِ
إلَّا بأقْيسة وآراءٍ وتقْـ ... ـليدٍ بلا علمٍ أو اسْتِحْسَانِ
عمَّنْ أتت هذي القواعدُ مِنْ جميـ ... ـعِ الصَّحْبِ والأتباع بالإحسانِ

ما أسَّسُوا إلَّا اتِّبـاعَ نبيِّهـم　　لا عَقْلَ فلْتانٍ ورَأيَ فُـلانِ
بل أنكروا الآراء نُصحًا منهُـمُ　　لله والـدَّاعـي وللقـــرآنِ
أَوَ ليس في خُلْفٍ بها وتناقُـضٍ　　ما دَلَّ ذا لُـبٍّ وذا عِرفـانِ
والله لو كانت من الرحمن ما اخْـ　　ـتَلَفَتْ ولا انْتَقَضَتْ مَدَى الأزمانِ
شُبَهٌ تهافَتُ كالزُّجاجِ تَخَالها　　حَقًّا وقد سقطتْ على صَفْوَانِ
واللَّهِ لا يَرْضَى بها ذو همَّةٍ　　عليـاءَ طالبة لهـذا الشَّـانِ

ثم يقول عن خصوم السنة ممن ناصبوه وناصبوا السنة العداء :

هذا وإني بَعْدُ ممْتَحَنٌ بـأر　　بعةٍ وكلُّهـمُ ذَوو أضْغـانِ
فَظٌّ غليـظٌ جاهلٌ مُتَمَعْلِـمٌ　　ضخـمُ العِمامـةِ واسعُ الأَرْدَانِ
مُتَفَيْهِقٌ مُتضلِّعٌ بالجهـل ذو　　صَلَعٍ وذو جَلَحٍ من العِرفـانِ
مُزْجَى البضاعةِ في العلوم وإنَّه　　زاجٍ من الإيهـانِ والهَذَيـانِ
أو حاسِدٌ قد باتَ يغلي صدرُهُ　　بعَدَاوَتِي كالمِرْجَلِ المـلآنِ
لو قلتُ هذا البَحْرُ قال مكذِّبًا　　هذا السَّرابُ يكون بالقِيعـانِ
أو قلتُ هذي الشمسُ قال مُباهِتًا　　الشمسُ لم تَطْلُع إلى ذا الآنِ
أو قلتُ قال اللَّهُ قال رسولُه　　غَضِبَ الخبيثُ وجاء بالكِتمانِ
أوْ حرَّف القرآنَ عن موضوعِهِ　　تحريفَ كذَّابٍ على القـرآنِ
والثالث الأعمى المقلِّد ذَنِبكَ الـ　　ـرَّجُلَيْنِ قائِدُ زُمْـرَةِ العميـانِ
هذا ورابعُهُم وليس بكَلْبِهـم　　حاشا الكلابَ الآكلي الأنتـانِ
خِنْزيرُ طَبْعٍ في خَلِيقَةِ ناطِقٍ　　مُتَسَوِّف بالكذبِ والبُهتـانِ
كالكلبِ يَتْبَعُهُم يُمَشْمِشُ أعْظُمًا　　يَرْمُونهـا والقـوم لِلَّحْمـانِ
هو فَضْلَةٌ في الناس لا عِلْمٌ ولا　　دينٌ ولا تمكينُ ذي سُلطـانِ
فبقاؤه في الناس أعْظَمُ مِحْنَة　　من عسكر يُعْزَى إلى غـازانِ
هذي بضاعةُ ضارِبٍ في الأرض يَبْـ　　ـغي تاجرًا يَبْتَـاعُ بالأثمـانِ

وَجَدَ التُّجَار جميعهم قد سافروا ... عن هذه البُلْـدانِ والأوطـانِ
إلا الصَّعَافِقَةَ الذين تكلَّفـوا ... أن يَتْجَرُوا فينا بـلا أثمـانِ
فَهُمُ الزُّبُونُ لها فباللَّهِ ارحموا ... مِنْ بَيْعةٍ من مفلس مِدْيَـانِ
يا رَبِّ فارزُقْها بحقِّك تاجرًا ... قد طاف بالآفاقِ والبلـدانِ
ما كلّ مَنْقُوشٍ لديه أصفـرٍ ... ذَهَبًا يـراه خالصَ العِقْيَـانِ
وكذا الزُّجاجُ ودُرَّةُ الغوَّاصِ في ... تمييـزه ما إن هُمَـا مِثْـلانِ

ويقول عمّن يُبْغِض أهل الحديث وهم أنصار هذا الدين :

يا مُبغِضًا أهْلَ الحديث وشاتِمًا ... أبشِرْ بعَقْدِ ولايةِ الشيطـانِ
أوَ مَا علمتَ بأنّهم أنصارُ دِيـ ... ـنِ الله والإيمـانِ والقـرآن
أوَ ما علمتَ بأن أنصار الرَّسُو ... لِ هُمُ بلا شكٍّ ولا نُكـرانِ
هل يُبْغض الأنصارَ عبدٌ مؤمنٌ ... أو مُدْرِكٌ لروائحِ الإيمـانِ
شهد الرسولُ بذاكِ وَهْيَ شهادةٌ ... من أصدقِ الثقلَيْنِ بالبُرهـانِ
أوَ ما علمتَ بأن خَزْرَجَ دِينِهِ ... والأوسَ هُمْ أبدًا بكُلِّ زمـانِ
ما ذنبُهم إذ خالفـوك لقوله ... ما خالفوه لأجْلِ قـولِ فُلانِ
لمّا تحيَّزْتم إلى الأشياخِ وانْـ ... ـحَازُوا إلى المبعـوثِ بالقـرآنِ
نُسِبُوا إليه دُونَ كلِّ مقالـةٍ ... أو حالـةٍ أو قائلٍ ومكـانِ
والله ما يُنْجِيكَ من سجن الجحيـ ... ـم سوى الحديثِ ومُحكمِ القرآنِ
والله ليـس الناسُ إلَّا أهْلَـهُ ... وسواهُمُ من جُملةِ الحيـوانِ

ويقول رحمه الله :

والله ما خَوْفِي الذنوبَ فإنها ... لَعَلَى طريقِ العَفْوِ والغُفـرانِ
لكنَّما أخشى انسِلاخ القلبِ مِنْ ... تحكيمِ هذا الوَحْي والقـرآنِ
ورضًا بآراء الرجال وخَرْصِها ... لا كان ذاك بمِنَّةِ الرحمـنِ
فبأيِّ وَجْـهٍ ألْتَقِي ربـي إذا ... أعرضتُ عن ذا الوحي طولَ زمانِ
وعـزلتُه عمَّا أُريـدَ لأجلِـهِ ... عَزْلًا حقيقـيًّا بـلا كتمـانِ

يقول ابن القيم في تعين الهجرتين إلى الله ورسوله :

يا قومُ فرْضُ الهجرتَيْنِ بحالِهِ والله لم يُنسخ إلى ذا الآنِ
فالهجرةُ الأُولى إلى الرحمن بالْـ إخلاص في سِرٍّ وفي إعلانِ
والهجرةُ الأُخرى إلى المبعوث بالْـ إسلام والإيمان والإحسانِ
أتَرَوْنَ هَذِي هجرةَ الأبدانِ لا والله بل هِيَ هجرةُ الإيمانِ
قَطْعُ المسافةِ بالقلوبِ إليه في دَرْكِ الأُصُولِ مع الفروعِ وَذَانِ
أبـدًا إليه حُكْمُها لا غَيْـرُهُ فالحُكْم ما حَكَمَتْ به النَّصَّانِ
يا هجرةً طالتْ مسافَتُها على مَنْ خُصَّ بالحِرْمانِ والخِذْلانِ
يا هجرةً طالتْ مسافتها على كَسْلانَ مَنْخُوبِ الفُؤادِ جبانِ
يا هجرةً والعَبْدُ فوقَ فِراشِهِ سَبَقَ السُّعاةَ لمنزلِ الرِّضْوانِ
رُفِعتْ له أعلامُ هاتِيكَ النُّصُو صِ رُؤوسُها شَابَتْ من النِّيرانِ
نارٌ هي النورُ المُبِينُ ولم يكُن ليـرَاهُ إلّا مَنْ لـه عينـانِ
مكحولتان بمِرْوَدِ الوَحْيَيْنِ لا بمَـرَاوِدِ الآراءِ والهَذَيـانِ
فَلِذَاكَ شَمَّرَ نحوها لم يلتفِتْ لا عن شَمَـائِلِهِ ولا أيمـانِ
يا قومُ لو هاجرتم لرأيتـمُ أعـلامَ طَيْبَـةَ رُؤْيَـةً بعِيـانِ
ورأيتمُ ذاكَ اللِّواءَ وتحتَهُ الـرُّسـلُ الكرامُ وعَسْكرُ القـرآنِ
وكذا المُهاجِرَةُ الأُلى سبقوا كذا الْـ أنْصارُ أهْلُ الـدَّارِ والإيمـانِ
والتابِعونَ لهم بإحسانٍ وَسَا لِكُ هَدْيِهم أبدًا بكلِّ زمـانِ
لكنْ رَضِيتُم بالأماني وابْتُليـ ـتُمْ بالحُظُوظ ونُصرة الإخوانِ
ونَبَذْتُمُ غَسْلَ النُّصُوصِ وراءكم وقَنَعْتُـمُ بِقُطـارَةِ الأذهـانِ
وتركتمُ الوَحْيَيْنِ زُهدًا فيهما ورَغِبْتُمُ في رَأْيِ كلِّ فـلانِ
وعزلتـمُ النَّصَّيْنِ عَمَّـا وُلِّيَا للحُكْم فيه عَزْلَ ذي عُدوانِ

وزعمتمُ أن ليس يحكُمُ بيننا إلَّا العقولُ ومنطقُ اليُونـانِ
فهما بحُكْم الحقِّ أوْلَى منهما سُبحانك اللَّهمَّ ذا السُّبْحَانِ
حتّى إذا انكشَفَ الغِطاءُ وُحصِّلَتْ أعمال هذا الخلْقِ في الميزانِ
وبَدَتْ على تلك الوجوهِ سِماتُهَا وَسْمَ المليك القادِرِ الدَّيّـانِ
مُبْيَضَّـةً مِثْلَ الرِّياضِ بجَنَّـةٍ والسُّودُ مثْلَ الفَحْمِ للنِّيـرانِ
فهناك يعلمُ راكِبٌ ما تَحْتَهُ وهناك يَقْرَعُ ناجِذَ النَّدْمـانِ
وهناك يعلم مُؤثِرُ الآراء والـشَّـطَحَاتِ والهَذَيانِ والبُطـلانِ
أيَّ البضائعِ قد أضاع وما الذي منها تَعَوَّضَ في الزمانِ الفاني

يقول ابن القيم فيما أعد الله للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ

هذا وللمُتَمَسِّكِينَ بُسنَّةِ الْـ ـمُخْتارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الأزمانِ
أجْرٌ عظيمٌ ليس يَقْدِرُ قَدْرَهُ إلَّا الذي أعطـاهُ للإنسـانِ
فرَوَى أبو داوُدَ في سُنَنٍ له ورواهُ أيضًا أحمدُ الشَّيْبَـاني
أثَرًا تَضَمَّنَ أجْرَ خمسين امْرَأ مِنْ صَحْبِ أحْمَدَ خِيرةِ الرحمنِ
إسنادُهُ حَسَنٌ ومصـداقٌ له في مُسلمٍ فافْهَمْهُ بالإحسانِ
إنَّ العبادَةَ وَقْتَ هَرْجٍ هِجْرَةٌ حقًّا إلَيَّ وذاك ذو بُرهـانِ
هذا فكَمْ مِنْ هجرةٍ لك أيُّها الـسُّـنِّيُّ بالتَّحْقِيقِ لا بأمـانِ
هذا وكَمْ من هجرةٍ لهمُ بما قال الرسولُ وجاء في القرآنِ
وَلقَدَ أتى مِصداقُهُ في الترمـذي لمن لَهُ أُذُنـان واعِيَتـانِ
في أجْر مُحْيِي سُنَّةٍ ماتت فَذَا كَ مَعَ الرسولِ رفيقُهُ بجِنانِ[(١)]
هذا ومِصـداقٌ له أيضًا أتـى في التِّرمِـذِيِّ لمن له عينـانِ
تشبيـهُ أُمَّتِـهِ بغَيْـثٍ أوَّلُ منـه وآخِـرُهُ فمُشْتَبِهَـانِ
فلذاك لا يُدْرَى الذي هو منهما قد خُصَّ بالتَّفْضِيلِ والرُّجْحانِ

(١) الحديث ضعيف .

ولقد أتى في الوَحْيِ مِصداقٌ له ... في الثُّلَّتَيْنِ وذاك في القـرآنِ
أهْلُ اليمينِ فَثُلَّةٌ مَعْ مِثْلِهَا ... والسَّابِقُونَ أقَلُّ في الحُسْبانِ
ما ذاك إلّا أن تابِعَهُمْ هُمُ الْـ ... ـغُرَبَاءُ ليستْ غُرْبَةَ الأوطـانِ
لكنَّهـا واللَّهِ غُربـةُ قائـمٍ ... بالدِّينِ بين عساكِرِ الشيطانِ
فانظُرْ إلى تفسيرِهِ الغُرَبَاءَ بِالْـ ... ـمُـحْيِينَ سُنَّتَهُ بكـلِّ زمـانِ
طُوبَى لهم والشَّوْقُ يَحْدُوهُم إلى ... أخْذِ الحديثِ ومُحكَمِ القرآنِ
طوبى لهـم لم يَعْبَئُوا بِنُحَاتَةِ الْـ ... أفكـار أو بـزبالـةِ الأذهـانِ
طوبى لهم رَكِبُوا على مَتْنِ العَزَا ... ئِمِ قاصِدِينَ لمَطْلِعِ الإيمانِ
طوبى لهم لم يَعْبَئُوا شيئًا بذي الْـ ... آرَاءِ إذْ أغناهُـمُ الوَحْيَـانِ
طوبى لهم وإمامُهُمْ دُونَ الوَرَى ... مَنْ جاءَ بالإيمانِ والفُرقـانِ
والله ما ائتَمُّوا بشخصٍ دُونَهُ ... إلَّا إذا ما دَلَّهُـمْ بِبَيَـانِ
هذا وقد بَعُدَ المَدَى وتَطَاوَلَ الْـ ... ـعَهْدُ الذي هو مُوجِبُ الإحسانِ
ولذاك كان كقابِضٍ جَمْرًا فَسَلْ ... أحشاءَهُ عن حَرِّ ذي النِّيرانِ
واللَّهُ أعْلَمُ بالـذي في قَلْبِـهِ ... يكفيهِ عِلْمُ الواحِدِ المَنَّـانِ
بِرٌّ وتوحيدٌ وصَبْرٌ مَعْ رِضًا ... والشُّكْرُ والتَّحكيمُ للقـرآنِ

يقول ابن القيم في عهده مع ربه ، وعهد الرجال الجبال يبين عن علو همتهم :

يا ناصرَ الإسلام والسُّنَن التي ... جاءتْ عن المبعوث بالقرآنِ
اشرحْ لدينك صدْرَ كلِّ مُوحِّدٍ ... شرحًا ينال به ذُرَا الإيمانِ
واجْعَلْهُ مُؤتَما بوَحْيِكَ لا بما ... قد قالَهُ ذُو الإفْكِ والبُهتـانِ
وانْعِشْ به مَنْ قصْدُهُ إحياؤه ... واعصمْهُ من كَيْد امْرِىءٍ فَتَّانِ
فَوَحَقِّ نعمتِـك التي أوليتَنِي ... وجعلت قلبي واعِيَ القـرآنِ
وكتبتَ في قلبي مُتابَعَةَ الهُدى ... فقرأتُ فيه أسْطُـرَ القـرآنِ

ونشلْتَنِي من حُبِّ أصحاب الهَوَى ... بحبائلٍ من مُحكَمِ القــرآنِ
وجعلتَ شِرْبي المَنْهَلَ العَذْبَ الذي ... هُوَ رأسُ ماءِ الوارِدِ الظَّمآنِ
وعصمتَني من شِرْبِ سِفْلِ الماءِ تَحْـ ... ـتَ نجاسةِ الآراءِ والأذهـانِ
وحَفِظْتَنِي ممَّا ابتليتَ به الأُلى ... حكموا عليك بشرْعَةِ البُهتانِ
نَبَذُوا كتابَكَ مِنْ وراءِ ظُهُورهم ... وتمسَّكُوا بزَخارِفِ الهَذَيـانِ
وأريتَني البدَعَ المُضِلَّةَ كيف يُلْـ ... ـقِيهَا مُزَخْرَفَةً إلى الإنسـانِ
شيطانُهُ فَيَظَلّ يَنْقُشُهَا لَـهُ ... نَقْشَ المُشَبِّهِ صُورةً بِدِهَـانِ
فَيَظُنّها المغرورُ حقًّا وَهْيَ في التَّـــحْقِيق مِثْلُ اللَّالِ في العِقيانِ
لأُجَاهِدَنَّ عِدَاكَ ما أبْقَيْتَنـي ... ولأجعلنَّ قتالَهُـمْ دَيْـدَاني
ولأفضَحَنَّهُمُ على رُوس المَلا ... ولأفرِيَنَّ أديمَهُـمْ بلسـاني
ولأكْشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيَتْ على ... ضُعَفاءِ خَلْقِكَ منهُمُ ببَيَـانِ
ولأتْبَعَنَّهُمُ إلى حيث انْتَهَوْا ... حتّى يُقالَ أبَعْـدُ عَبَّـادانِ
ولأرْجُمَنَّهُمُ بأعلامِ الهُـدى ... رَجْمَ المَرِيدِ بثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
ولأقْعُدَنَّ لهم مَرَاصِدَ كَيْدِهم ... ولأحْصُرَنَّهُـمُ بكُلِّ مكـانِ
ولأجْعَلَنَّ لحُومَهم ودماءَهـم ... في يوم نَصْرِكَ أعْظَمَ القُربانِ
ولأحْمِلَنَّ عليهـمُ بعَسَاكِـر ... ليستْ تَفِرُّ إذا التَقَى الزَّحفانِ
بعَسَاكِرِ الوَحْيَيْنِ والفِطْرَاتِ بالْـ ... ـمعْقُولِ والمنقُولِ بالإحسانِ
حتَّى يَبِينَ لمن له عَقْلٌ مَنِ الْـ ... أوْلَى بحُكْمِ العَقْلِ والبُرهانِ
ولأنْصَحَنَّ اللَّهَ ثُـمَّ رسـولَهُ ... وكتابَهُ وشـرائِعَ الإيمـانِ
إن شاءَ رَبِّي ذا يكُونُ بحَوْلِهِ ... إن لم يَشَأ فالأمْرُ للرحمـنِ

ولقد صدق ابن القيم في عهده مع ربه أيما صدقٍ ، ووفَّى أعظم توفيةٍ ، لله درُّه .

* * *

□ كلماتٌ طَيِّبة في الدَّعْوة إلى السُّنَّة □

عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هُدًى ، كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالةٍ ، كان له من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » . أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة .

وقال ابن عباس : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة ، عبادةٌ[1] .

وعن الزهري : الاعتصام بالسنة نجاةٌ .

وقال أبو العالية : « تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم ، فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الإسلام يمينًا ولا شمالًا ، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه ، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء » . وصدق ونصح كما قال الحسن وابن سيرين .

وعن الحسن قال : يا أهل السنة ترفقوا - رحكم الله - فإنكم من أقل الناس .

وعن سعيد بن جبير : لا يقبل قولٌ إلَّا بعمل ، ولا يقبل عملٌ إلا بقولٍ ، ولا يقبل قولٌ وعملٌ إلا بنيَّةٍ ، ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيّةٌ إلَّا بنيّةٍ مُوافِقةٍ للسنة .

وقال يونس بن عبيد : أصبح مَن إذا عُرِّف السُّنّة عرفها ، غريبًا ، وأغْرَب منه من يُعرِّفها .

وقال يونس : إن الذي يعرض عليه السنة لغريب ، وأغرب منه من يعرفها .

وقال : ليس شيءٌ أغرب من السنة ، وأغرب منها من يعرفها .

---

(١) شرح أصول الاعتقاد ١/٥٥ .

قال أيوب السختياني : إن من سعادة الحدث والأعجمي ، أن يوفقهما الله لعالِمٍ من أهل السنة .

وعن ابن شوذب : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ، أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها .

وقال أيوب لعمارة بن زاذان : يا عمارة ، إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة ، فلا تسأل عن أي حال كان فيه .

وقال حماد بن زيد : حضرت أيوب السختياني وهو يغسّل شعيب ابن الحبحاب ، وهو يقول : إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وقال ابن عون : ثلاث أُحِبُّهن لنفسي ولأصحابي . فذكروا قراءة القرآن والسنة ، والثالثة : أقبل رجلٌ على نفسه ولها من الناس ، إلا من خَيْرٍ .

وقال الأوزاعي : ندور مع السنة حيث دارت .

وقال : كان يقال : خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسانٍ : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله .

وأخرج ابن أبي حاتمٍ عن ابن مسعود : ما من شيءٍ إلا بُيِّن لنا في القرآن ، ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه ، فلذلك قال تعالى : ﴿ **ولتُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾ [النحل : ٤٤] .

لله ما أروع هذا الكلام !

وقال رجل عن مطرف بن عبد الله : لا تحدثونا إلا بما في القرآن . فقال مطرف : إنّا والله ما نريد بالقرآن بدلًا ، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا .

وأخرج الدارمي عن سعيد بن جبير ، أنه حدث يومًا بحديثٍ عن النبي ﷺ فقال له رجل : في كتاب الله ما يخالف هذا . فقال : لا أراني أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه بكتاب الله ، كان رسول الله ﷺ أعلم بكتاب الله منك .

وأخرج البيهقي عن أيوب السختياني قوله : إذا حدثت الرجل بُسنّةٍ ، فقال : دعنا من هذا وأنبئا عن القرآن ، فاعلم أنه ضالٌّ .

وكتب عمر بن عبد العزيز : لا رَأْيَ لأحدٍ في كتاب الله ولا في سُنّةٍ سنّها رسول الله ﷺ ، وإنما رأيُ الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب ، ولم تَمْضِ به سُنّةٌ عن رسول الله ﷺ .

وقال الأوزاعي : إن السنة جاءت قاضيةً على الكتاب ، ولم يجيء الكتاب قاضيًا على السنة . وكذا قال يحيى بن أبي كثير .

وقال مكحول : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن .

قال البيهقي : ومعنى ذلك أن السنة مع الكتاب أُقيمت مقام البيان عن الله ، كما قال الله ﴿ **وأنزلنا إليك الذِّكْر لتُبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم** ﴾ [النحل : ٤٤].

وقال السيوطي : والحاصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة ؛ أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته ؛ لأن فيه كنوزًا تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها ، فيبرزها ، وذلك هو المنزل عليه ﷺ .

وهذا هو معنى كون السنة قاضيةً عليه ، وليس القرآن مبينًا للسنة ولا قاضيًا عليها ؛ لأنها بَيِّنَةٌ بنفسها .

« كان إبراهيم التيمي يقول : اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق ، ومن اتباع الهوى ، ومن سبل الضلالة ، ومن شبهات الأمور ، ومن الزيغ والخصومات .

وقال ابن المبارك : اعلم - أي أخي - أن الموت كرامةٌ لكل مسلمٍ لقي الله على السنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان ، وظهور البدع ، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأُمّة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع »[١] .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : والمتبع للسنة كالقابض على الجمر ، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل .

قال الألباني : هذا في زمانه ، فماذا يقال في زماننا ؟! .

قال ابن عمر : لا يزالون على الطريق ما اتبعوا الأثر .

قال وكيع : لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئًا إلَّا أن يمنعه من الهوى ، كان قد أصاب فيه .

وقال سفيان : الملائكة حراس السماء ، وأصحاب الحديث حراس الأرض .

وقال سفيان : استوصوا بأهل السنة خيرًا ؛ فإنهم غرباء[٢] .

وقال فضيل بن عياض : إن لله عبادًا يحيي بهم البلاد ، وهم أصحاب السنة ، ومن كان يعقل ما يدخل جوفه من حله ، كان من حزب الله .

وقال أبو بكر بن عيّاش : السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان .

وقال ابن المبارك : ما رأيت أحدًا شرح السُّنة من أبي بكر بن عياش .

وعن عون قال : من مات على الإسلام والسنة ، فله بشيرٌ بكل خيرٍ .

وقال معتمر بن سليمان : دخلت على أبي وأنا منكسر ، فقال : ما لك ؟ قلت : مات صديقٌ لي . قال : مات على السنة ؟ قلت : نعم . قال :

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٨٦/١ .
(٢) شرح أصول الاعتقاد ٦٣/١ .

فلا تخف عليه .

وقال معافى بن عمران : لا تحمدن رجلًا إلا عند الموت : إما يموت علىَ السنة أو يموت على بدعة .

وقال شاذ بن يحيى : ليس طريقٌ أقصد إلى الجنة من طريق من سلك الآثار .

دِينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ ... نِعْم المَطِيَّةُ للفتى آثارُ
لا تَعْدِلَنَّ عن الحديث وأهْلِهِ ... فالرَّأْيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولرُبَّما غَلِطَ الفتى أثَرَ الهُدى ... والشمسُ بازِغَة لها أنوارُ

وقال ابن خزيمة : ليس لأحدٍ قولٌ مع رسول الله ﷺ إذا صحّ الخبر .

وقال يحيى بن آدم : لا يحتاج مع قول النبي ﷺ إلى قولِ أحدٍ ، إنما كان يقال : سنة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ؛ ليعلم أن النبي ﷺ مات وهو عليها .

وقال مجاهد : ليس أحدٌ إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلّا النبي ﷺ .

وقال أبو حنيفة : إذا جاء عن النبي ﷺ ، فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن أصحابه ، نختار من أقوالهم ، وإذا جاء عن التابعين ، زاحمناهم .

وقال عروة بن الزبير : اتباع السنن قوام الدين .

وقال ابن سيرين : كانوا يقولون : ما دام على الأثر ، فهو على الطريق .

وقال الأوزاعي : إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديثٌ ، فإياك أن تقول بغيره ، فإن رسول الله ﷺ كان مبلغًا عن الله .

وقال الثوري : إنما العلم كله العلم بالآثار .

وقال كهمس : من لم يتحقق أن أهل السنة حفظة الدين ، فإنه يعد في ضعفاء المساكين ، الذين لا يدينون لله بدين ، يقول الله لنبيه ﷺ : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** ﴾ [الزمر : ٢٣] ويقول رسول الله ﷺ : « حدثني جبريل عن الله » .

قال أبو إلياس الألباني : ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن ، وفيهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع ، اتضع ولا ترتفع ، ومن ورع لا يتسع .

* * *

□ كلمات في الاتِّباع وذَمّ البدع لأهل الزُّهْد وأصحاب السلوك □

قيل لإبراهيم بن أدهم : إن الله يقول في كتابه : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ [غافر : ٦٠] ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا ؟! فقال : ماتت قلوبكم في عشرة أشياء : أولها : عرفتم الله فلم تؤدُّوا حقه . والثاني : قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به . والثالث : ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته ... إلى آخر الحكاية .

وقال ذو النون : من علامة حب الله متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته .

وقال : إنما فسد الخلق من ستة أشياء : الأول : ضعف النية بعمل الآخرة . والثاني : صارت أبدانهم مُهَيَّأَةً لشهواتهم . والثالث : غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل . والرابع : آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله . والخامس : اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ . والسادس : جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ، ودفنوا أكثر مناقبهم .

وقال لرجلٍ أوصاه : « ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك ، إحكام ما افترض الله عليك ، واتقاء ما نهاك عنه ؛ فإنّ ما تعبَّدك الله به ، خيرٌ لك مما تختاره لنفسك من أعمال البر وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد ، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل ، وما أشبه ذلك ، وإنما للعبد أن يراعي أبدًا ما وجب عليه من فرضٍ يحكمه على تمام حدوده ، وينظر إلى ما نهي عنه ، فيتقيه على إحكام ما ينبغي ، فإن الذي قطع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان ، وأن يبلغوا حقائق الصدق ، وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة - تهاونهم بأحكام ما فرض عليهم ؛ في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم ، ولو وقفوا على

هذه الأشياء وأحكموها ، لأُدخل عليهم البر إدخالًا تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم الله من حسن معونته ، وفوائد كرامته ، ولكن أكثر القراء والنساك حقروا محقرات الذنوب ، وتهاونوا بالقليل مما هم فيه من العيوب ، فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل » .

وقال بشر الحافي : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي : يا بشر ، أتدري لم رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت : لا يارسول الله . قال : لاتباعك سنتي وحرمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي ، هو الذي بلغك منازل الأبرار .

وقال يحيى بن معاذ الرازي : اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول ، فلكل واحد منها ضد ، فمن سقط عنه وقع في ضده : التوحيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية .

وقال أبو بكر الترمذي : لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة ، وإنما أخذوا ذلك باتباع السنة ومجانبة البدعة ، فإن محمدا ﷺ كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى .

وقال أبو عليّ الحسن بن علي الجوزجاني : من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه ، وموافقة السنة في أفعاله ، وصحبته لأهل الصلاح ، وحسن أخلاقه مع الإخوان ، وبذل معروفه للخلق ، واهتمامه للمسلمين ، ومراعاته لأوقاته .

وسئل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : الطرق إلى الله كثيرة ، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه : اتباع السنة قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونِيَّةً ؛ لأن الله يقول : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [النور : ٥٤]. فقيل له : كيف الطريق إلى السنة ؟ فقال : مجانبة البدع ، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام ، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة

الاقتداء ، وبذلك أُمِر النبي ﷺ بقوله تعالى : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم** ﴾ [النحل : ١٢٣] .

وقال أبو الحسن الورَّاق : لا يصل العبد إلى الله إلّا بالله وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه ، ومن جَعَلَ الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء ، يضلُّ من حيث إنه مُهتدٍ .

وقال : الصدق استقامة الطريق في الدين ، واتباع السنة في الشرع .

وقال : علامة محبة الله متابعة حبيبه ﷺ .

وقال إبراهيم القمار : علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ .

وقال أبو محمد بن عبد الوهاب الثقفي : لا يقبل الله من الأعمال إلَّا ما كان صوابًا ، ومن صوابها إلّا ما كان خالصًا ، ومن خالصها إلَّا ما وافق السنة .

وقد كان إبراهيم بن شيبان القرميسيني - الذي صاحب إبراهيم الخواص - شديدًا على أهل البدع ، متمسكا بالكتاب والسنة ، لازمًا لطريق المشايخ والأئمة ، حتى قال فيه عبد الله بن منازل : إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات .

وقال أبو بكر بن سعدان - وهو من أصحاب الجنيد -: الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات .

وقال أبو عمر الزجاجي - وهو من أصحاب الجنيد والثوري -: كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي ﷺ فردهم إلى الشريعة والاتباع ، فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع ، ويستقبح ما يستقبحه .

وقيل لإسماعيل بن محمد السلمْي جد أبي عبد الرحمن السلمي - ولقي الجنيد -: ما الذي لا بد للعبد منه ؟ فقال : ملازمة العبودية على السنة ،

ودوام المراقبة .

وقال أبو عثمان المغربي التونسي : هو الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها ، قال الله تعالى : ﴿ **ومن يَتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾ [الطلاق : ١] .

وقال بندار بن الحسين : صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق .

وقال أبو بكر الطمستاني : الطريق واضح ، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا ، وفضل الصحابة معلومٌ لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم ، فمن صحب منا الكتاب والسنة ، وتغرب عن نفسه والخلق ، وهاجر بقلبه إلى الله ، فهو الصادق المصيب .

وقال أبو يزيد البسطامي[1]: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئًا أشد من العلم ومتابعته ، ومتابعة العلم هي متابعة السنة لا غيرها .

وروي عنه أنه قال : قم بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية . وكان رجلًا مقصودًا مشهورًا بالزهد ، قال الراوي : فمضينا ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه ؟! .

قال الشاطبي في « الاعتصام » (١/ ٩٤) : « وهذا أصل أصَّله أبو يزيد - رحمه الله - للقوم : وهو أن الولاية لا تحصل لتارك السنة ، وإن كان ذلك جهلًا منه ، فما ظنك إذا كان عاملًا بالبدعة كفاحًا ؟! » .

---

(١) له كلامٌ طيِّبٌ ، وله شطحات ، عفا الله عنه ، فنأخذ منه كلامه الطيب ، ولنا سلفٌ في ذلك : شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم .

وقال : هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء ، ثم قلت : كيف يجوز أن أسأل الله هذا ، ولم يسأله رسول الله ﷺ ؟! فلم أسأله ، ثم إن الله سبحانه كفاني مؤنة النساء ، حتى لا أبالي أستقبلتني امرأة أم حائط .

وقال : لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات ، حتى يرتقي في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود وآداب الشريعة .

وقال سهل التستري : كل فعل يفعله العبد بغير اقتداءٍ ، طاعةً كان أو معصية ، فهو عيش النفس - يعني اتباع الهوى - وكل فعلٍ يفعله العبد بالاقتداء فهو عتابٌ على النفس ، واتباع الهوى هو المذموم ، ومقصود القوم تركه ألبتة .

وقال : أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق .

وقال : قد أيس الخلق من هذه الخصال الثلاث : ملازمة التوبة ، ومتابعة السنة ، وترك أذى الخلق . وسئل عن الفتوة فقال : اتباع السنة .

وقال أبو سليمان الداراني : ربما تقع في قلبي النكتة من نكتة القوم أيامًا ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة .

وقال أحمد بن أبي الحواري : من عمل عملًا بلا اتباع سنةٍ ، فباطلٌ عمله .

وقال أبو حفص الحداد : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقتٍ بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده في ديوان الرجال.

وسئل عن البدعة ، فقال : التعدي في الأحكام ، والتهاون في

السنن ، واتباع الآراء والأهواء ، وترك الاتباع والاقتداء .

قال : وما ظهرت حالةٌ عاليةٌ إلّا من ملازمة أمرٍ صحيح .

وسئل حمدون القصار : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس ؟ فقال : إذا تعين عليه أداء فرضٍ من فرائض الله في علمه ، أو خاف هلاك إنسانٍ في بدعةٍ ، يرجو أن ينجيه الله منها .

وقال : من نظر في سير السلف ، عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

قال الشاطبي في « الاعتصام » (١/٩٥) : « وهذه - والله أعلم - إشارةٌ إلى المثابرة على الاقتداء بهم ، فإنهم أهل السنة » .

وقال أبو عثمان الحيري : الصحبة مع الله تعالى : بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع رسول الله ﷺ : باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم .

ولما تغير عليه الحال ، مزق ابنه أبو بكرٍ قميصًا على نفسه ، ففتح أبو عثمان عينيه وقال : خلاف السنة - يا بني - في الظاهر ؛ علامة رياءٍ في الباطن .

وقال : مَن أمّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولًا وفعلًا ، نطق بالبدعة ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال محمد بن الفضل البلخي : ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون ما لا يعلمون ، ويمنعون الناس من التعلم .

وقال : أعرفهم بالله أَشَدُّهم مجاهدةً في أوامره ، وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ .

وقال شاه الكرماني : من غضَّ بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشبهات ، وعمّر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة،وعوّد نفسه أكل الحلال ، لم تخطىءْ له فِرَاسَةٌ .

وقال أبو العباس بن عطاء ، وهو من أقران الجنيد : من ألزم نفسه آداب الله ، نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وقال إبراهيم الخوّاص : ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله ، واقتدى بالسنن ، وإن كان قليل العلم .

وسئل عن العافية فقال : العافية أربعة أشياء : دينٌ بلا بدعةٍ ، وعملٌ بلا آفةٍ ، وقلبٌ بلا شغلٍ ، ونفسٌ بلا شهوةٍ .

وقال : الصبر : الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

وقال أبو حمزة البغدادي : من علم طريق الحق ، سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله إلّا متابعة سنة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله .

وسُئل أبو علي الرّوزباري عمّن يسمع الملاهي ويقول : « هي لي حلال ، لأني قد وصلت إلى درجةٍ لا يؤثر في اختلاف الأحوال » . فقال : نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر .

وقال أبو محمد عبد الله بن منازل : لم يضيع أحدٌ فريضةً من الفرائض ، إلا ابتلاه الله بتضييع السنن ، ولم يبتل بتضييع السنن أحدٌ ، إلّا يوشك أن يُبتلى بالبدع .

وقال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلّا من اقتفى آثار الرسول ﷺ .

وقال : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ، لا يقتدى به في هذا

الأمر ؛ لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسنة . وقال : هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ .

هذا قول سيد من سادات العابدين العاملين ، فلم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق من الصوفية ، ونواب إبليس وشرطه .

وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ ، فإن الله عز وجل يقول : وعزتي وجلالي ، لو أتوْني من كل طريقٍ ، واستفتحوا من كل بابٍ ، لما فتحت لهم ، حتى يدخلوا خلفك[١] .

وقال رجل له : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله . فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، ولو بقيت ألف عام ، لم أنقص من أعمال البر ذرَّةً ، إلا أن يحال بي دونها .

« فهذا كلام أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية ، فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على منهاجهم ، بل يأتي ببدعٍ محدثات ، وأهواء متبعات »[٢] .

فالسابقون مَضَوْا وما خدعوا الوَرَى ... بالتُّرَّهَاتِ لأنّهم أُمَناءُ
واللّاحِقون مضوْا على أهوائهم ... أرأيتَ ما فعلتْ بنا الأهواءُ
بدع بها جمعوا من الأموال ما ... جمعوا ومجموعُ الهباءِ هباءُ
في ذمة العُلماءِ هذا كُلُّه ... إن كان فيما بيننا علماءُ

* * *

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص٧ .
(٢) الاعتصام للشاطبي بتصرف ١/٩٠ - ٩٨ .

☐ ذم الابتـــداع ☐

قال العلامة ابن بطة العكبري : « يا إخواني ، عصمنا الله وإياكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء ، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطاء وشماتة الأعداء ، وأجارنا وإياكم من غِيَر الزمان وزخاريف الشيطان ، فقد كثر المغترون بتمويهاتها ، وتباهى الزائغون والجاهلون بلبس حلتها ، فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأُمَمَ قبلنا ، وحل الذي حذرناه نبينا ﷺ من الفرقة والاختلاف ، وترك الجماعة والائتلاف ، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا ، وترك الجمهور منا ما به أُمرنا ، فخُلعتْ لبسة الإسلام ، ونزعت حلة الإيمان ، وانكشف الغطا ، وبرح الخفا ، فعُبدتِ الأهواء ، واستُعملتْ الآراء ، وقامت سوق الفتنة ، وانتشرت أعلامها ، وظهرت الردة ، وانكشف قناعها ، وقُدحتْ زناد الزندقة ، فأُضرمت نيرانها ، وخلف محمد ﷺ في أُمَّته بأقبح الخلف ، وعظمتْ البليَّة ، واشتدت الرزيَّة ، وظهر المبتدعون ، وتنطّع المتنطعون ، وانتشرت البدع ، ومات الورع ، وهتكت سجف المشاينة ، وشهر سيف المحاشة ، بعد أن كان أمرهم هينا ، وحدهم لينا ، وذاك حين كان أمر الأُمّة مجتمعا ، والقلوب متآلفة ، والأئمة عادلة ، والسلطان قاهرا ، والحق ظاهرا ، فانقلبت الأعيان ، وانعكس الزمان ، وانفرد كلُّ قومٍ ببدعتهم ، وحُزِّبَ الأحزاب ، وخولف الكتاب ، واتخذ أهل الإلحاد رؤوسًا وأربابا ، وتحولت البدعة إلى أهل الاتفاق ، وتهوك في العسرة العامة وأهل الأسواق ، ونعق إبليس بأوليائه نَعْقةً فاستجابوا له من كل ناحية ، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية ، فأُلْبِسوا شيعا ، ومُيِّزوا قِطَعا ، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة والمذاهب المخالفة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وما ذاك إلّا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر الله ، وصدفهم عن الحق ، وميلهم إلى الباطل ، وإيثارهم أهواءهم ، ولله عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره ومخالفة رُسُله ، فأشعلتْ نيران البدع في الدين ،

وصاروا إلى سبيل المخالفين ، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الأمم الماضِين »[١] .

قالَ الشاطبي في الاعتصام (٣٨/١) : « هذا تمام الحكاية ، فكأنه – رحمه الله – تكلم على لسان الجميع » .

ولقد وردت عن سيد البرية ﷺ أحاديث عطرة في ذم البدع والتنفير من أهلها :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد » . متفق عليه .

ولفظ مسلم : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : مُلحدٌ في الحرم ، ومُبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطَّلِب دم امرىء بغير حقٍّ ليهريق دمه » . رواه البخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أُمتي يدخلون الجنة إلَّا مَنْ أبى » . قيل : ومَنْ أَبَى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »[٢].

وفي حديث أنس : « فمن رغب عن سنتي ، فليس مني » . متفق عليه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات** ﴾ وقرأ إلى : ﴿ **وما يذَّكَّر إلّا أُولو الألباب** ﴾ [آل عمران : ٧] قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية .' لابن بطة ١٦٣/١ – ١٦٥ .

(٢) رواه البخاري .

رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولئك الذين سماهم الله ؛ فاحذروهم ». متفق عليه . وعند مسلم : « فإذا رأيتم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان دجالون ، كذّابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » . رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمرو قال : هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا ، قال : فسمع أصوات رَجُلَيْن اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب » . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، و ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا** ... ﴾ » الآية [البقرة : ١٣٦] . رواه البخاري .

وعن خبّاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بني إسرائيل لمّا هلكوا قَصُّوا »(١) .

أي لما هلكوا بترك العمل ، أخلدوا إلى القصص ، وعولوا عليها واكتفوا بها . قاله المناوي .

وحال كثير من المؤمنين اليوم يشبه حالهم ، فقد أعرضوا عن العلم النافع والعمل الصالح .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة ، وأبو نعيم في الحلية ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٤١) والصحيحة رقم (١٦٨١) .

وقال ﷺ : « لتتَّبِعنَّ سُنن الذين من قبلكم ، شبرًا بشبرٍ ، أو ذراعًا بذراعٍ ، حتى لو سلكوا جحر ضَبٍّ لسلكتموه » . قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ! »[(١)] .

وقال ﷺ : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ ، وذراعًا بذراعٍ ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضَبٍّ لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع أُمّه بالطريق لفعلتموه »[(٢)] .

وقال ﷺ : « ليس منا من عمل بسنة غيرنا »[(٣)] .

وقال ﷺ : « من صنع أمرًا على غير أمرنا ، فهو رَدٌّ »[(٤)] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أُمَّتي أخذ القرون قبلها ، شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ » . قيل : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ قال : « ومن الناس إلّا أولئك »[(٥)] .

وقال رسول الله ﷺ : « ليأتينَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة ، وتفترق أُمّتي على ثلاثٍ وسبعين ملّة ، كلهم في النار ، إلّا ملّة واحدة ؛ ما أنا عليه وأصحابي »[(٦)] .

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي سعيد ، والحاكم عن أبي هريرة .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٩٤٣) .

(٣) حسن : رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٣٩) .

(٤) صحيح : رواه أبو داود عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٦٩) .

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٦) حسن : رواه الترمذي عن ابن عمرو ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٤٣) .

وقال ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمدٍ بيده ، لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، واثنتان وسبعون في النار »[١] .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيّاكم وإيّاهم ، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ، ثم قال : « هذا سبيل الله » . ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ، وقال : « هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه » . وقرأ : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعُوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتَّقون** ﴾ . [الأنعام : ٦٣][٢] .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة ، وإنه سيخرج من أُمّتي أقوام تَجَارَى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجارى الكَلَبُ بصاحبه ، لا يبقى منه عِرق ولا مَفْصِل إلّا دَخَلَه »[٣] .

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجة عن عوف بن مالك ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٨٢) .
(٢) إسناده حسن . رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه . وحسّن إسناده الألباني في التعليق على المشكاة ٥٩/١ .
(٣) إسناده صحيح . رواه أحمد وأبو داود . وقال الألباني : وسندهما صحيح .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ضلَّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه ، إلّا أُوتوا الجدل » . ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **ما ضربوه لك إلّا جدلًا بل هم قوم خصِمُون** ﴾[١] [الزخرف : ٥٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أبْغَضُ الرِّجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم »[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ، ما بين عَيْر إلى ثور ، فمن أحْدَثَ فيها حَدَثًا ، أو آوى محدثًا ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفًا ولا عَدْلًا »[٣] .

هذا في المحدث المبتدع ، والذي يأويه لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقال رسول الله ﷺ : « المِراءُ في القرآن كفر »[٤].

وعن أبي برزة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إنما أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ، ومُضِلّات الهوى »[٥] .

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة . وقال الألباني : سنده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ١/٦٤ .

(٢) رواه البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن علي ، ومسلم عن أبي هريرة ، ونحوه عن أنس رواه أحمد والبخاري ومسلم . ورواه الطيالسي وأبو نعيم والبيهقي في السنن .

(٤) صحيح . رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٦٣) .

(٥) صحيح . رواه أحمد والطبراني في معاجمه الثلاثة . وقال المنذري : وبعض أسانيدهم رواته ثقات ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١/٢٥ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وأما المُهلِكات ؛ فُشحٌّ مُطاع ، وهَوًى مُتَّبعٌ ، وإعجاب المرء بنَفْسِه »[١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حَجَبَ التوبة عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتى يَدَعَ بدعته »[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أبى الله أن يقبل عَمَلَ صاحبِ بدعةٍ حتى يَدَع بدعته »[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لكلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ ، ولكل شِرّةٍ فَتَرَةٌ ، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي ، فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك ، فقد هلك »[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل عملٍ شِرَّة[٥] ، ولكل شرّةٍ فَتْرةٌ ، فإن كان صاحبها سَدَّدَ أو قارَبَ فارْجُوهُ ، وإن أشير إليه بالأصابع ، فلا تعُدُّوه »[٦] .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ

---

(١) حسن . رواه البزار والبيهقي ، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب ٢٥/١ .

(٢) صحيح . رواه البـزار وقال المنذري : إسناده حسن . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٥/١ .

(٣) صحيح . رواه ابن ماجة وابن أبي عاصم في « السنة » . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٦/١ .

(٤) صحيح . رواه أحمد والطحاوي ، وابن حبان وابن أبي عاصم. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٦/١ .

(٥) الشِّرَّة : النشاط والهمّة .

(٦) صحيح . رواه الترمذي والطحاوي وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٦/١ .

يقول : « لقد تركتُكم على مثل البيضاءِ ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك »[١]. قال أبو عمران الجوني : ليت شعري ، أيّ شيءٍ علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار .

من سار على المحجة البيضاء في الدنيا ، يسير على المرمرة البيضاء أرض الجنة في الآخرة ... واحدة بواحدة .

أنت القتيلُ بكُلِّ من أحْبَبْتَهُ ‌ ‌ ‌ ‌ فاخْتَرْ لنَفْسِكَ في الهوى مَنْ تَصْطَفِي

وعن أبي الدرداء قال : خرج رسول الله ﷺ علينا فقال : « وأيم الله لأتركنكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها سواء » . فقال أبو الدرداء : صدق الله ورسوله ، فقد تركنا على مثل البيضاء[٢].

وعن العرباض قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والبدع »[٣].

وعن العرباض رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : « إياكم والمحدثات ؛ فإن كل محدثةٍ ضلالةٌ »[٤] .

وفي رواية : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، ومن الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه ، وويلٌ لمن جُعل مفتاح

---

(١) صحيح . رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابن أبي عاصم . وقال المنذري : رواه ابن أبي عاصم بإسناد حسن . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٧ .

(٢) صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » ١/٢٦ وصححه الألباني .

(٣) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » ١/٢٠ وحسّنه الألباني .

(٤) حديث صحيح . رواه ابن أبي عاصم – واللفظ له – وابن حبان وابن ماجه ، وصححه الألباني في التعليق على « السنة » لابن أبي عاصم ١/١٧ .

الشر على يديه »[١] .

عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : والله ما أظن على ظهر الأرضَ اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني . فقيل : وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة في مشرقٍ أو مغربٍ ، فيحملها الرجل إليّ ، فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسنة ، فترد عليه كما أخرجه[٢] .

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاقٌّ ولا مُكذِّبٌ بقَدَرٍ ولا مُدمِنُ خمرٍ »[٣] .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صرفًا ولا عدلًا : عاقٌّ ، ومَنَّانٌ ومُكذِّبٌ بالقَدَر »[٤] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم ، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم »[٥] .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »[٦] .

---

(١) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/١٢٧ - ١٢٨) وحسَّنه الألباني .

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/٥٥ .

(٣) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم واللفظ له ، وأحمد والبزار والطبراني وحسنه الألباني في التعليق على « السنة » لابن أبي عاصم ١/١٤١ .

(٤) إسناده حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » ١/١٤٢ وحسن إسناده الألباني .

(٥) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في « السنة » واللفظ له ، وابن ماجه ، والطبراني في الصغير ، والآجري في الشريعة ، وحسنه الألباني .

(٦) حديث حسن . رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٥٠) وحسَّنه الألباني .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكلِّ أُمَّة مجوسًا ، وإن مجوس هذه الأمة القدرية ، فلا تعودوهم إذا مرضوا ، ولا تصلوا على جنائزهم إذا ماتوا »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « الخوارج كلابُ النار »[٢].

وقال ﷺ : « إن من ضئضىء هذا قومًا يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ »[٣] .

وقال ﷺ : « سيخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير البرية ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة »[٤] .

وقال ﷺ : « سيكون بعدي من أُمَّتي قومٌ يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة سيماهم التحليق »[٥] .

* * *

---

(١) حديث صحيح . رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/١٥١) واللفظ له ، والآجري في الشريعة ، والدولابي في « الكنى » وصححه الألباني .

(٢) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن ابن أبي أوفى ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٤٧) .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن علي .

(٥) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاري .

□ نماذج من علوّ هِمَمِهم في اجتناب البدع وذَمّ أهلها والتحذير منها □

قال ابن الماجشون : سمعت مالكًا يقول : « من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً ، فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ **اليوم أكملتُ لكم دِينَكُمْ** ﴾ [المائدة : ٣] فما لم يكن يومئذٍ دينا ، فلا يكون اليوم دينا » .

نعم ... لئن لم يسعنا ما وسع القوم ، فلا وسعتنا رحمة الله .

وعن حميد بن مهران قال : سألت الحسن : كيف يصنع أهل هذه الأهواء الخبيثة بهذه الآية في آل عمران ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيِّنات** ﴾ [آل عمران : ١٠٥] قال : نبذوها وربِّ الكعبة وراء ظهورهم .

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **كالذين تفرقوا واختلفوا** ﴾ يعني أهل البدع .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ** ﴾ [آل عمران : ١٠٦] قال : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة .

قال تعالى : ﴿ **وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعوه ولا تتَّبِعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ الآية [الأنعام : ١٥٣] .

قال بكر بن العلاء : أحسبه أراد شيطانًا من الإنس وهي البدع ، والله أعلم .

وعن مجاهد ، في قوله : ﴿ **ولا تتَّبعوا السُّبُل** ﴾ قال : البدع والشهوات .

وقال تعالى : ﴿ **وعلى الله قَصْدُ السبيل ومنها جائِرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ [النحل : ٩] .

قال التستري : ﴿ **قصد السبيل** ﴾ طريق السنة ، ﴿ **ومنها جائر** ﴾ يعني إلى النار ، وذلك الملل والبدع .

وجاء عن سفيان بن عيينة وأبي قلابة وغيرهما ، أنهم قالوا : كل صاحب بدعةٍ أو فريةٍ ذليلٌ . واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿ **إن الذين اتَّخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربِّهم وذِلَّةٌ في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين** ﴾ [الأعراف : ١٥٢].

قال أبو الجوزاء - وذكر أصحاب الأهواء فقال -: والذي نفس أبي الجوزاء بيده ، لأن تمتلىء داري قردةً وخنازير ، أحب إليَّ من أن يجاورني رجلٌ منهم ، ولقد دخلوا في هذه الآية : ﴿ **ها أنتم أُولاءِ تُحبُّونهم ولا يُحبُّونكم وتُؤمنون بالكتاب كُلِّه** ﴾ الآية [آل عمران : ١١٩] .

وقال الحسن : « صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا ؛ صيامًا وصلاة ، إلا ازداد من الله بعدًا » .

وعن أبي إدريس الخولاني أنه قال : لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها ، أحبُّ إليَّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيع تغييرها .

وقال الفضيل بن عياض : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين .

وقال الحسن : لا تجالس صاحب هوى ؛ فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك ، أو تخالفه فيمرض قلبك .

وعن أبي قلابة : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون » . قال أيوب : وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب .

وعنه أيضًا ، أنه كان يقول : « إن أهل الأهواء أهل ضلالةٍ ، ولا أرى مصيرهم إلَّا إلى النار » . وعنه : « ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا استحل السيف » .

وعن أيوب السختياني : ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهادًا ، إلا ازداد من الله بعدًا .

وعن سفيان قال : كان رجل فقيه يقول : ما أُحبّ أني هديت الناس كلهم وأضللت رجلًا واحدًا .

وكان ابن سيرين يرى أسرع الناس ردة أهل الأهواء .

وعن إبراهيم : لا تكلموهم ؛ إني أخاف أن ترتد قلوبكم .

وعن هشام بن حسان قال : لا يقبل الله من صاحب بدعةٍ صيامًا ولا صلاةً ، ولا حجًّا ولا جهادًا ولا عمرةً ، ولا صدقةً ولا عتقًا ، ولا صرفًا ولا عدلًا ، وليأتين على الناس زمانٌ يشتبه فيه الحق والباطل ، فإذا كان ذلك ، لم ينفع فيه دعاء إلا كدعاء الغرق .

وقال يحيى بن أبي كثير : إذا لقيت صاحب بدعةٍ في طريقٍ ، فخذ في طريق آخر .

وعن بعض السلف : من جالس صاحب بدعةٍ ، نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه .

وعن العوام بن حوشب ، أنه كان يقول لابنه : يا عيسى ، أصلح قلبك ، وأقلل مالك . وكان يقول : والله لأن أرى عيسى في مجالس أصحاب البرابط[1] والأشربة والباطل ، أحب إليَّ من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات . قال ابن وضاح : يعني أهل البدع .

وقال يحيى بن أبي عمر الشيباني : كان يقال : يأبى الله لصاحبِ بدعةٍ توبةً ، وما انتقل صاحب بدعةٍ إلّا إلى شرٍّ منها .

وقال أبو العالية : إياكم وهذه الأهواء ، التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء . فحُدث الحسن بذلك فقال : رحمه الله ، صدق ونصح .

---

(١) البرابط : جمع بربط ، والبربط هو المزهر والعود ، وهو فارسيٌّ معرب .

وقال آخر : « أهل هذه الأهواء آفة أُمَّة محمد ﷺ ، إنهم يذكرون النبي ﷺ وأهل بيته ، فيتصيدون بهذا الذكر الحسن عند الجهال من الناس ، فيقذفون بهم في المهالك ، فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل ! ومن يسقي السم القاتل باسم الترياق ! فأبصرهم ، فإنك إن لا تكن أصبحت في بحر الماء ، فقد أصبحت في بحر الأهواء ، الذي هو أعمق غورًا وأشد اضطرابًا ، وأكثر صواعق ، وأبعد مذهبًا من البحر وما فيه ، فَفُلك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال :اتباع السنة »[1].

وقال ابن شبرمة :

إذا قلتُ جدُّوا في العبادة واصبروا ... أصرُّوا وقالوا لا الخصومةُ أفْضَلُ

خلافًا لأصحاب النبي وبدعةً ... وهُمْ لسبيل الحقِّ أعْمَى وأجْهَلُ

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : لو كانت هذه الأهواء كلها هوًى واحدًا ، لقال القائل : الحق فيه . فلما تشعبت واختلفت ، عرف كل ذي عقلٍ أن الحق لا يتفرق .

وقال مالك بن أنس : الكلام في الدين كله أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، القدر ورأي جهمٍ وكل ما أشبه ، ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عَمَلٌ ، فأما الكلام في الله ، فالسكوت عنه ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلّا ما كان تحته عملٌ .

وقال مالك : مهما تلاعبت به من أمر شيء ، فلا تلاعبن بأمر دينك .

وقال الأوزاعي : إذا أراد الله بقومٍ شرًّا ، ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل .

(١) الاعتصام ١/٨٢ - ٨٦ .

وقال عبد الله بن المبارك : صاحب البدعة على وجهه الظلمة ، وإن ادَّهَنَ كل يومٍ ثلاثين مرَّةً .

وقال عطاء الخراساني : ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعةٍ بتوبةٍ .

وقال الحسن بن أبي الحسن : أبى الله تبارك وتعالى أن يأذن لصاحب هوًى بتوبةٍ .

وقال الحسن : ليس لصاحب بدعةٍ ولا لفاسقٍ يعلن بفسقه ، غيبةٌ .

وعن كثير بن أبي سهل : يقال : أهل الأهواء لا حرمة لهم[1] .

« وقال الفضيل بن عياض : المؤمن يقف عند الشبهة ، ومن دخل على صاحب بدعةٍ فليست له حرمة ، وإذا أحب الله عبدًا ، وفقه لعملٍ صالحٍ ، فتقربوا إلى الله بحب المساكين .

وقال ابن المبارك : لم أر مالًا أحمق من مال صاحب بدعةٍ .

وقال : اللهم لا تجعل لصاحب بدعةٍ عندي يدًا ، فيحبه قلبي .

وقال ابن المبارك : يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجالس صاحب بدعةٍ .

وقال الفضيل : من أتاه رجلٌ فشاوره ، فدله على مبتدعٍ ، فقد غش الإسلام ، واحذروا الدخول على أصحاب البدع ؛ فإنهم يصدون عن الحق .

وقال - رحمه الله -: لا تجلس مع صاحب بدعةٍ ، فإني أخاف أن ينزل عليك اللعنة .

وقال : لا تجلس مع صاحب بدعةٍ أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإسلام من قلبه .

وقال : صاحب البدعة لا تأْمَنْه على دينك ، ولا تشاوره في أمرك ، ولا تجلس إليه ، فمن جلس إلى صاحب بدعةٍ ، ورَّثه الله العمى .

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٤٠ - ١٥٠ .

وقال : إن لله ملائكةً يطلبون حلق الذكر ، فانظر مع من يكون مجلسك ؛ لا يكون مع صاحب بدعةٍ ؛ فإن الله لا ينظر إليهم ، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعةٍ .

وقال : الأرواح جنودٌ مجندةٌ ، ولا يمكن أن يكون صاحب سنةٍ يمالىء صاحب بدعةٍ إلا من النفاق .

وقال : أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنةٍ ، وينهون عن أصحاب البدع .

وقال : لا يرفع لصاحب بدعةٍ إلى الله عملٌ .

وقال عبد الله بن عمر السرخسي - عالم الخرز -: أكلت عند صاحب بدعةٍ أكلة ، فبلغ ذلك ابن المبارك فقال : لا كلمته ثلاثين يومًا .

وقال إبراهيم بن ميسرة : من وقر صاحب بدعةٍ ، فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال يونس بن عبيد : لا تجالس سلطانًا ولا صاحب بدعة .

وقال محمد بن النضر الحارثي : من أصغى سمعه إلى صاحب بدعةٍ ، وهو يعلم أنه صاحب بدعة ، نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه .

وقال الثوري : إياك والأهواء والخصومة ، وإياك والسلطان .

وقال : المسلمون كلهم عندنا على حالةٍ حسنةٍ إلا رجلين : صاحب بدعة ، أو صاحب سلطان .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيءٍ دون العامة ، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة »[١].

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٣٥ - ١٤١ .

« قال معمر : كان ابن طاوس جالسًا ، فجاء رجلٌ من المعتزلة ، فجعل يتكلم . قال : فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أُذُنَيْه وقال لابنه : أي بني ، أدخل إصبعيك في أُذنيك ، واشدد ، لا تسمع من كلامه شيئًا . قال معمر : يعني أن القلب ضعيف »[1] .

وقال عبد الرزاق : قال لي إبراهيم بن أبي يحيى : إني أرى المعتزلة عندكم كثيرًا ! قلت : نعم ، وهم يزعمون أنك منهم . قال : أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أُكلِّمك ؟ قلت : لا . قال : و لم ؟ قلت : لأن القلب ضعيف ، وإن الدين ليس لمن غلب[2] .

وقال الثوري : من سمع بدعةً فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقيها في قلوبهم[3] .

وقال أيوب : لست ترد عليهم بشيءٍ أشد من السكوت[4] .

وقال عبد الله بن السري : ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ، ولكن السنة عندنا أن لا نكلم أحدًا منهم .

« وروي عن حنبل بن إسحاق بن حنبل ، أنه قال : كتب رجلٌ إلى أبي عبد الله - رحمه الله - كتابًا يستأذن فيه أن يضع كتابًا ، يشرح فيه الرد على أهل البدع ، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم . فكتب إليه أبو عبد الله كتابًا فيه : الذي كنا نسمع ، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم ، أنهم كانوا يكرهون الكلام ، والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني رقم ٢٠٠٩٩ .

(٢) الإبانة لابن بطة .

(٣) شرح السنة للبغوي ١/٢٢٧ .

(٤) الإبانة لابن بطة ٢/٣٦٥ - ٣٦٦ .

رسول الله ﷺ ، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ، فإنهم يلبسون عليك ، وهم لا يرجعون ، فالسلامة - إن شاء الله - في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم »[١] .

وعن إسماعيل بن خارجة قال : دخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر ، نحدثك بحديثٍ ؟ قال : لا . قالا : فنقرأ عليك آيةً من كتاب الله ؟ قال : لا . قال : تقومان عني وإلّا قمت . فقام الرجلان فخرجا ، فقال بعض القوم : ما كان عليك أن يقرأا آية ؟ قال : إني كرهت أن يقرأا آية فيحرفانها ، فيقر ذلك في قلبي[٢] .

وقال الحسن البصري : أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى .

وقال محمد بن سيرين : لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء .

وعن إبراهيم قال : إذا امتنع الإنسان من الشيطان ، قال : من أين آتيه ؟ قال : ثم قال : بلى آتيه من قبل الأهواء .

وعن الشعبي قال : إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار .

وقال أبو العالية : ما أدري أي الغنمين علي أعظم : إذا أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام ، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوًى !! .

وعن الحسن ، أن رجلًا أتاه فقال : يا أبا سعيد ، إني أريد أن أخاصمك . فقال الحسن : إليك عني ، فإني قد عرفت ديني ، وإنما يخاصمك الشاك في دينه[٣] .

---

(١) الإبانة لابن بطة .

(٢) الشريعة للآجري ١/٥٧ .

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص٥٧ ، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/١٢٩ .

وقال جعفر الباقر : إياكم والخصومات في الدين ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق .

وقال الأحنف بن قيس : كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب .

وقال معاوية بن قرة : إياكم وهذه الخصومات ؛ فإنها تحبط الأعمال .

وقال هرم بن حيان : صاحب الكلام على إحدى المنزلتين : إن قصر فيه خُصم ، وإن أعرق فيه أثم .

وقال الفضيل بن عياض : لا تجادلوا أهل الخصومات ؛ فإنهم يخوضون في آيات الله .

عن مجاهدٍ قال : قيل لابن عمر : إن نجدة[1] يقول كذا وكذا . فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيءٌ .

وعن عبد الله بن خباب بن الأرت قال : بينما نحن في المسجد ، ونحن جلوسٌ مع قوم نقرأ السجدة ونبكي ، فأرسل إليَّ أبي ، فوجدته قد أحضر معه هراوة له ، فأقبل عليَّ ، فقلت : يا أبه،مالي مالي ؟ قال : ألم أرك جالسًا مع العمالقة[2]. ثم قال : هذا قرن خارجٌ الآن .

وعن عبد الله بن أبي الهذيل العنبري قال : كنا جلوسًا مع عبد الله ابن خباب بن الأرت ، وهو يقول : سبحوا كذا وكذا ، واحمدوا كذا وكذا ، وكبروا كذا وكذا . قال : فمر خبابٌ فنظر إليه ، ثم أرسل إليه فدعاه ، فأخذ السوط ، فجعل يضرب رأسه به ، وهو يقول : يا أبتاه ، فيم تضربني ؟! فقال : مع العمالقة ؟! هذا قرن الشيطان قد طلع أو قد

---

(١) هو نجدة بن عامر الحروري الخارجي .

(٢) العمالقة : يقال لمن يخدع الناس ويخلبهم عملاق ، والعملقة : التعمق في الكلام .

بزغ[١] .

وعن الضحاك قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يسجن القُصَّاصَ ومن يجلس إليهم .

وقال عمر بن العلاء اليماني لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ، أستقبل القاصّ ؟ فقال : وَلُّوا البدع ظهوركم[١] .

« عن حميد الأعرج : قدم غيلان مكة يجاور بها ، فأتى غيلان مجاهدًا فقال : يا أبا الحجاج ، بلغني أنك تنهى عني وتذكرني ، بلغك عني شيءٌ لا أقوله ؟ إنما أقول كذا . فجاء بشيءٍ لا ينكر ، فلما قام قال مجاهد : لا تجالسوه ؛ فإنه قَدَرِيٌّ . قال حميد : فإنه يومًا في الطواف ، لحقني غيلان من خلفي يجذب ردائي ، فالتفت ، فقال : كيف يقول مجاهدٌ حرف كذا ؟ فأخبرته ، فمشى معي ، فبصر بي مجاهد معه ، فأتيته فجعلت أُكلمه ، فلا يرد علي ، وأسأله فلا يجيبني . قال : فغدوت إليه ، فوجدته على تلك الحال ، فقلت : يا أبا الحجاج ، أبلغك عني شيء ؟! ما أحدثت حدثًا ، ما لي ؟! قال : ألم أرك مع غيلان ، وقد نهيتكم أن تكلموه أو تجالسوه ؟! قال : قلت : يا أبا الحجاج ، ما أنكرت قولك ، وما بدأته ، هو بدأني . قال : والله يا حميد ، لولا أنك عندي مصدق ، ما نظرت لي في وجهٍ منبسطٍ ما عشت ، ولئن عدت ، لا تنظر لي في وجه منبسط ما عشت .

وعن أيوب : كنت يومًا عند محمد بن سيرين ، إذ جاء عمرو بن عبيد فدخل ، فلمّا جلس ، وضع محمدٌ يده في بطنه وقام ، فقلت لعمرو : انطلق بنا . قال : فخرجنا ، فلما مضى عمرو رجعت ، فقلت : يا أبا بكر ، قد فطنت إلى ما صنعت . قال : أقد فطنت ؟ قلت : نعم . قال : أما إنه

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضّاح القرطبي ص٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ .

لم يكن ليضمني معه سقف بيتٍ .

وعن أيوب : دخل رجلٌ على ابن سيرين ، فقال : يا أبا بكر ، أقرأ عليك آيةً من كتاب الله ، لا أزيد أن أقرأها ثم أخرج ؟ فوضع إصبعيه في أُذُنَيْه ثم قال : أعزم عليك ، إن كنت مسلمًا إلّا خرجت من بيتي . قال : فقال : يا أبا بكر ، لا أزيد على أن أقرأ الآية ، ثم أخرج . فقام لإزاره يشده ، وتهيأ للقيام ، فأقبلنا على الرجل ، فقلنا : قد عزم عليك إلَّا خرجت ، أفيحلُّ لك أن تخرج رجلًا من بيته ؟ قال : فخرج ، فقلنا : يا أبا بكر ، ما عليك لو قرأ آيةً ثم خرج ؟! قال : إني والله لو ظننت أن قلبي ثبت على ما هو عليه ، ما جاليت أن يقرأ ، ولكن خفت أن يلقي في قلبي شيئًا ، أجهد في إخراجه من قلبي فلا أستطيع .

روي عن ابن مسعود أنه قال : من أحب أن يكرم دينه ، فليعتزل مخالطة الشيطان ومجالسة أصحاب الأهواء ؛ فإن مجالستهم ألصق من الجرب .

وعن بعضهم قال : كنت أمشي مع عمرو بن عبيد ، فرآني ابن عونٍ ، فأعرض عني . وقيل : إنه دخل دار ابن عونٍ ، فسكت ابن عون لَمَّا رآه ، وسكت عمروٌ عنه فلم يسأله عن شيء ، فمكث هنيهةً ، ثم قال ابن عون : بم استحل أن دخل داري بغير إذني ؟! مرارًا يرددها .

وعن مؤمّل بن إسماعيل قال : قال بعض أصحابنا لحماد بن زيد : ما لك لم ترو عن عبد الكريم إلَّا حديثًا واحدًا ؟ قال : ما أتيته إلّا مرة واحدة لمساقه في هذا الحديث ، وما أُحبُّ أن أيوبَ علم بإتياني له ، وأنّ لي كذا وكذا ، وإني لأظنه لو علم ، لكانت الفصيلة بيني وبينه .

وعن إبراهيم أنه قال لمحمد بن السائب : لا تقربنا ما دمت على رأيك هذا . وكان مرجِئًا .

وعن حماد بن زيد قال : لقيني سعيد بن جبير فقال : ألم أرك مع طلق ؟ قلت : بلى ، فما له ؟ قال : لا تجالسه ، فإنه مرجىء .

وعن محمد بن واسع قال : رأيت صفوان بن محرز وقريبٌ منه شيبةُ ، فرآهما يتجادلان ، فرأيته قائمًا ينفض ثيابه ، ويقول : إنما أنتم جُرب .

وعن الأوزاعي : لا تكلموا صاحب بدعةٍ من جدلٍ ، فيورث قلوبكم من فتنته »[١] .

وقال أبو يوسف لبشر المريسي : يا بشر ، إما أن تتوب أو تفسد علينا خشبة .

وروى مسلم « عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر،فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفرون العلم . وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك ، فأخبرهم أني بريءٌ منهم ، وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو أن لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر »[٢] .

وانظر إلى جعد بن درهم ، وهو أول من تفوه بكلمةٍ خبيثةٍ في

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، أول حديث في صحيح مسلم .

الاعتقاد ، ونفى صفات الله ، وقال بخلق القرآن ، وأنكر أن يكون الله قد تكلم به ، وقال : إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا . فذبحه خالد بن عبد الله القسري أميرَ العراق بواسط ، في يوم الأضحى حيث قال : « أيها الناس ، اذهبوا إلى أضاحيكم ، يتقبل الله منكم ، فإنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ، ولا كلم موسى تكليمًا » . ثم نزل فذبحه ، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين ، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة .

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كلُّ صاحِبِ سُنَّةٍ ... لله دَرُّك مِنْ أخـي قُرْبـانِ

وانظر إلى أُسِّ الضلالة ورأس الجهمية : جهم بن صفوان ، الذي تبنى آراء الجعد ، وزاد عليها بدعًا أُخرى :

قال عنه إبراهيم بن طهمان : ما ذكرته ، ولا ذكر عندي إلّا دعوت الله عليه ، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم .

لما أسر الجهم وأوقف بين يدي سلم بن أحوز ، فأمر بقتله ؛ لإنكاره أن الله كلم موسى ، فقال : إن لي أمانًا من أبيك . فقال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فعل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب ، ما نجوت ، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر فقتله . وفي رواية ابن جرير : وأبرأك إلَيَّ عيسى بن مريم ، ما نجوت[(١)] .

وأحمد بن أبي دؤاد الإيادي ، الذي جر البلاد إلى محنة خلق القرآن ، وأهان علماء الأُمَّة ، وتكلم في عقيدة أهل السنة ، دعا عليه الإمام أحمد ، فحبسه الله في جسده ، فدخل عليه عبد العزيز الكناني وقال له : لم آتك عائدًا ، بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك[(٢)].

---

(١) البداية والنهاية (٢٨/١٠) ، تاريخ الطبري ٢٩٥/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٧/٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٧٠/١١ - ١٧١ .

قال الخطيب البغدادي : « لما مات بشر بن غياث المريسي ، لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلَّا عبيد الشونيزي ، فلما رجع من جنازته ، أقبل عليه أهل السنة والجماعة ، وقالوا له : يا عدو الله ، تنتحل السنة ، وتشهد جنازة المريسي ؟! فقال : أنظروني حتى أُخبركم ، ما شهدت جنازةً رجوت بها من الأجر ، ما رجوت في شهود جنازته ؛ لما وضع في موضع الجنائز ، قمت في الصف فقلت : اللهم إن عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة ، اللهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر المؤمنون إليك ، اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر ، اللهم فعذبه اليوم في قبره عذابًا لم تعذبه أحدًا من العالمين ، اللهم عبدك هذا كان ينكر الميزان ، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة ، اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة ، اللهم فلا تشفع فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة . قال فسكتوا عنه وضحكوا »[١].

ذَمُّ الرَّأْيِ :

وهو الرأي المذموم غير المبني على أُسٍّ من كتاب ولا سُنَّةٍ .

قال ﷺ : « إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمًا ، اتخذ الناس رؤساء جهالًا ، فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ ، فضلوا وأضلوا »[٢] .

وعند ابن عبد البر في التمهيد : « فيبقى ناسٌ جهالٌ يُستفتون ، فيفتون برأيهم فيضلون ويُضلون » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم ،

(١) تاريخ بغداد ٦٦/٧ .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو .

ويبقى جهالٌ ، فيسألون فيفتون ، فيضلون ويُضلون »[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ، لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : قراؤكم يذهبون ، ويتخذ الناس رؤساء جهالًا يقيسون الأمور برأيهم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا حظ الرأي سنة للأمة .

وعن عروة بن الزبير : لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا حتى أدرك فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم ، فأخذوا بالرأي ، فأضلوا بني إسرائيل .

وعن الشعبي : إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس .

وعن الحسن : إنما هلك من كان قبلكم حين شعبت بهم السبل ، وحادوا عن الطريق ، فتركوا الآثار ، وقالوا في الدين برأيهم ، فضلوا وأضلوا .

وعن دراج بن السهم بن أسمح : يأتي على الناس زمانٌ يسمن الرجل راحلته حتى تعقد شحمًا ، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تعود نقضًا ، يلتمس من يفتيه بسنةٍ قد عمل بها ، فلا يجد إلا من يفتيه بالظن .

وقال أبو بكر بن أبي داود : أهل الرأي هم أهل البدع . وقال :

وَدَعْ عنك آراءَ الرِّجالِ وقَوْلَهُم فقَوْلُ رسول الله أزْكَى وأشْرَحُ

وقال مسروق : من رغب برأيه عن أمر الله يضل .

وقال الشافعي : « من استحسن فقد شرع » .

---

(١) حسن . رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٥٧) .

والرأي المذموم يشمل البدع المحدثة في الاعتقاد ، ويشمل أيضًا العمليات ... وإعمال النظر العقلي مع طرح السنن : إما قصدًا أو غلطًا وجهلًا .

قال أبو الزناد : « وأيم الله إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ، ونتعلمها شبيهًا بتعلمنا آي القرآن ، وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أولية الناس ، يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي ، وينهون عن لقائهم ومجالستهم ، ويحذروننا مقاربتهم أشد التحذير ، ويخبرون أنهم أهل ضلالٍ وتحريفٍ لتأويل كتاب الله وسنن رسوله ، وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث ، وزجر عن ذلك ، وحذره المسلمين في غير موطنٍ ، حتى كان من قوله كراهية لذلك : « ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيءٍ فخذوا منه ما استطعتم » .

فعليكم بالسنن والآثار .. وترك ومجانبة أهل البدع الأشرار ، وعليكم بطريق الصحابة الأبرار .

قال ابن مسعود : من كان منكم متأسِّيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها خلالًا ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم » .

وأخيـــرًا :

يا قومنا أجيبوا داعي الله .

قال ابن القيم : « أسمع - والله - لو صادف آذانًا واعية ، وبصّر لو

صادف قلوبًا من الفساد خالية . لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء ، فأطفأت مصابيحها ، وتمكنت منها آراء الرجال ، فأغلقت أبوابها وأضاعت مفاتيحها ، وران عليها كسبها فلم تجد حقائق القرآن إليها منفذًا ، وتحكمت فيها أسقام الجهل ، فلم تنتفع معها بصالح العمل .

واعجبًا لها ! كيف جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولم تقبل الاغتذاء بكلام رب العالمين ، ونصوص حديث نبيه المرفوع ؟! أم كيف اهتدت في ظلَم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب ، وخفي عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب ؟! .

واعجبا ! كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها ، ومقبولها ومردودها ، وراجحها ومرجوحها ، وأقرت على أنفسها بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من كلام من كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان ، وكلام من أُوتي جوامع الكلم ، واستولى كلامه على الأقصى من البيان ؟!.

كلا ، بل هي والله فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها ، وحيرت العقول عن طرائق قصدها ، يربى فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير .

وظنت خفافيش البصائر أنها الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون ، والنهاية التي تنافس فيها المنافسون ، وتزاحموا عليها ، وهيهات ، أين السهى من شمس الضحى ؟! وأين الثرى من كواكب الجوزاء ؟! وأين الكلام الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليلٍ معلومٍ ، من النقل المصدق عن القائل المعصوم ؟! وأين الأقوال التي أعلا درجاتها : أن تكون سائغة الاتباع ، من النصوص الواجب على كل مسلمٍ تقديمها وتحكيمها والتحاكم إليها في محل النزاع ؟! وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحذر ، من النصوص التي فرض على كل عبدٍ أن يهتدي بها

ويتبصر ؟! وأين المذاهب التي إذا مات أريها فهي من جملة الأموات ، من النصوص التي لا تزول إذا زالت الأرض والسموات ؟! .

سبحان الله ! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس العلم من مشكاته – من كنوز الذخائر ؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر ؟! قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فكرا ، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرا ، وأوحى بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا ، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا .

درست معالم القرآن في قلوبهم ، فليسوا يعرفونها . ودثرت معاهده عندهم ، فليسوا يعمرونها . ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم ، فليسوا يرفعونها . وأفلت كواكبه النيرة من آفاق نفوسهم ، فلذلك لا يحبونها . وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها ، فليسوا يبصرونها .

خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة ، وعزلوها عن ولاية اليقين . وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة ، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم كمينٌ بعد كمين ، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام ، فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام ، وتلقوها من بعيد ، ولكن بالدفع في صدورها والأعجاز . وقالوا : ما لك عندنا من عبور ، وإن كان ولا بد ، فعلى سبيل الاجتياز . أنزلوا النصوص منزلة الخليفة في هذا الزمان ؛ له السّكة والخطبة ، وما له حكم نافذ ولا سلطان . المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر ، مبخوس حظه من المعقول . والمقلد للآراء المتناقضة المتعارضة ، والأفكار المتهافتة لديهم هو الفاضل المقبول . وأهل الكتاب والسنة ، المقدمون لنصوصها على غيرها ، جهال لديهم منقوصون . ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناسُ قالوا أنؤمنُ كما آمنَ السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** ﴾ [البقرة : ١٣].

حرموا - والله - الوصول ، بعدولهم عن منهج الوحي ، وتضييعهم الأصول . وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها ، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها ، وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها ، حتى إذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ، وتميز لكل قومٍ حاصلهم الذي حصلوه ، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه ، وقدموا على ما قدموه ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [الزمر : ٤٧] وسقط في أيديهم عند الحصاد لَمَّا عاينوا غلة ما بذروه .

فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً منثورًا ، ويا عظم المصيبة عندما يتبين بوارق أمانيه خلبًا ، وآماله كاذبة غرورًا . فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى ، والتعصب للآراء ، بربه يوم تبلى السرائر ؟ وما عذر من نبذ الوحيين وراء ظهره في يوم لا تنفع الظالمين فيه المعاذر ؟ .

أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله ، أن ينجو من ربه بآراءِ الرجال ؟! أو يتخلص من بأس الله بكثرة البحوث والجدال ، وضروب الأقيسة وتنوع الأشكال ؟! أو بالإشارات والشطحات ، وأنواع الخيال ؟! .

هيهات والله ، لقد ظن أكذب الظن ، ومنّته نفسه أبين المحال . وإنما ضمنت النجاة لمن حكّم هدي الله على غيره ، وتزود التقوى وائتمَّ بالدليل ، وسلك الصراط المستقيم ، واستمسك من الوحي بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والله سميع عليم .

* * *